الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الأدب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة و الأدب العربي

تخصص: نقد أدبي معاصر.

الزّمن ودلالته في رواية الكافية والوشّام لـ: "محمد مفلاح" انموذجا_

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

01. سمية زوقاغ
02. سعدي سميرة

إشراف الأستاذة:

د. نعيمة بن علية

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
1. د. كهينة دحمون	أستاذة محاضرة صنف "أ"	جامعة أكلي محند اولحاج	رئيسا
2. د.نعيمة بن علية	أستاذة محاضرة صنف "أ"	جامعة العقيد أكلي محند اولحاج	مشرفا ومقررا
3. أ. سامية علوات	أستاذة مساعدة صنف "أ"	جامعة أكلي محند اولحاج	عضوًا

السنة الجامعية 2015/2014

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم :

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ومن ابدى لكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له".

- الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم وميّزنا بالعقل الذي يسيّر طريقنا .
- الحمد لله الذي أعطانا من موجبات رحمته الإرادة والعزيمة على إتمام عملنا.
- نحمدك يا ربّي حمدا يليق بمقامك وجلالك العظيم.
- جرت العادة أن يكون وراء كل إعداد وبحث أشخاص منهم من يسهم بالنصح ، والبعض الآخر بالتوجيه ومن باب الجميل أن نتقدّم بشكراتنا الخالصة :
- إلى من لم تبخل علينا بنصائحها القيّمة وارشاداتها الوجيهة.
- إلى التي كانت ومازالت وندعو الله أن تبقى للدروب منيرة الأستاذة المشرفة : بن علية نعيمة
- إلى كل من أمدنا مداد العون من قريب أو من بعيد، بالكثير أو بالقليل حتى ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة عطرة.
- بارك الله لكم وجعلها في ميزان حسناتكم وجعل الجنة مثواكم.

الإهداء

إلى من قال فيهما الرحمن "وقضى ربّك ألّا تعبدوا إلّا إيّاه وبالوالدين إحسانا".

– إلى من حقّت فيهما الطاعة بعد المولى عزّ وجلّ ورسوله الكريم

–إلى من بدقات قلبيهما وبضياء وجهيهما غمراني بالحياة حفظهما الله لي شمسا بازغة في حياتي وجعل دعواهما لي نورا يهدي خطواتي

–

أمـــي

وأبـــي –

–إلى من كانوا مصابيح تنير دربي، ورفعت رأسي معهم فكانوا مصدر ثقتي، وإلى من أثروني عن نفسهم وعلموني علم الحياة وأظهروا لي ما هو أجمل من الحياة :

إخوتـــــــــــــــــــــــــــــــــي وأخواتـــــــــــــــــــــــــــــــــي.

الإهداء

أنامل تحيط بقلم أعياه التعب والأرق ولا يقوى على الحراك يتكأ على قطرات حبر مملؤة بالحزن والفرح في آن واحد...

حزن يشبه الفراق بعد التجمع...
وفرح لبزوغ فجر جديد من حياتي هو يوم تخرجي...

هو بالنسبة لي يوم ميلادي لي...

أتطلع فيه لما هو آت من همسات هذه الدنيا المليئة بالتفائل والأمل المشرق...

إهدائي هنا ليس لتخرجي فقط..

بل للتحليق نحن والرفقة في سماء مملؤة بغمام يصحبه المزن هي فرص تقتنص...

وثمرات تقطف عندما تكون يانعة وها أنا أقف لأقطف إحدى هذه الثمرات التي ينعت لي

وهي تخرجي بإذن الله...

لعلني في هذه الكلمات البسيطة الحروف التي تتمايل بتمايل أنامل عاجزة عن تكملة هذا الإهداء بسبب الفراق

لصرح ضمني بين أحضانه فترات كالأم..

هنا سوف أضع كلمات لكل من ترك بصمة في حياتي وغير من مجرها وعمّق في توسيع مداركي العلمية والعقلية...

لكل من لملم احزاني بين فترة وأخرى...

لكل من أشعرني بأنني لست وحيدة في مجتمع مختلف...

إهدائي إليكم أهلي عائلتي زوجي وخلاني ...

إليكم..

أبعث أرق تحية وأعذب سمفونية سمعتها وارددها لكم بأنني احببتكم من كل قلب..

سيقف قلمي هنا بُرهة ليستقر بين أنظاركم ما كتبت لعلها هذه المفردات تكون خير معينة حتى تتذكروني يوما ما...

مقـــدمة

أولت الدّراسات النقديّة بمختلف أنواعها في العصر الحديث اهتماما بالغا بالزّمن، باعتباره الهيكل الأساسي الذي ينبني عليه أي عمل أدبي، والذي تتشكل من خلاله بنيّة النص الزمنيّة وباعتباره عنصرا هاما في التشكل الجمالي للأحداث، إذ يشكل الزّمن في العمل الروائي جوهر النص الذي تتبني عليه الأحداث ، فالسرد زمنٌ ، والحوار زمنٌ أيضا، كما يعد الوصف زمنا في بعض حالاته، فالشخصيّات لا تتحرك إلا من خلال هذا الزّمن الذي تسبح في فلكه شخصيات محورية وأخرى ثانوية ، فكل ما يحدث داخل الرواية يكون في اطار منظم وهو الزّمن، فهو يتشكل في كل موقف وفي كل لحظة لأنه الإطار الحافظ للعناصر الأخرى من أن تزول وتندّثر، فلا شيئ يعدوه ولا يحلّ دونه، وهو من الوحدات الأساسية الأولى في بناء الرواية، كما أنه الأداة السهلّة لدى المؤلف والصعبة في آن واحد، تضفي على الرواية أشكالا متنوعة من الفهم والتأويل .

إن ما شجعنا على اختيار هذا الموضوع هو في الدخول إلى جدلية الزّمن ودلالته المختلفة في رواية الكافية والوشّام باعتبار أن هذا العنصر يمثل أبعادا ودلالات فنية، جسّدتها الرواية بشكل لافت للانتباه، تبعا لمرحلة التحولات الكبرى التي اعقبت أحداث أكتوبر 1988 في الجزائر.

أما عن سبب اختيار الروائي فهو يعود إلى التميّز والتفرّدالذي طبع محمّد مفلاح في طريقة الكتابة المنتهجة من خلال تضمينه للمعاني الواسعة، والخطابات المختلفة، فهو كان رغبة منا في التعرف على هذا الروائي، وكذلك بعث الاهتمام بالأدب الجزائري في المقام الأول والتعرف على تاريخ الوطن لأنه كان يسّرب التاريخ في رواياته في قالب ادبي راقٍ جدا يجلب اهتمام القارئ وفيما يتعلّق بالرواية محل الدراسة (الكافية والوشّام) فإنّ مقاربتها زمنيا تعد أرضا بكرا لم تمتد إليه أقلام الباحثين، بالإضافة إلى كونها لم تر النور، ولم تخرج إلى الوجود إلا في السنوات الأخيرة (تم طبعها في سنة 2008 بدعم من طرف وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لتنمية الفنون

والآداب)، وهنا نشير أيضا إلى أمر هام شدّ اهتمامنا وهو عنوان الرواية (الكافية والوشّام)، فبعد قراءة الرواية أول شيئ لفت انتباهنا هو أن الكاتب ربط كلمة الوشّام بالزمن في أكثر من موضع ويبدو أن الكاتب قد انتقاها بعناية حينما أرادها أن تكون الطرف الثاني للعنوان الرئيسي (الكافية والوشّام) ثم ربطها بالزّمن، مما يدّل على أن الزّمن في هده الرواية يمثل أهم الأبعاد التي تترك آثارها وتأثيراتها الأبدية التي لا تزول، تماما كما يفعل الوشم في وجه الموشوم، ويلوح في يدّه من بعيد.

نسعى من خلال هذه الدراسة للكشف عن مواطن الزمن وحقيقته، كما سنقوم بتسليط الضوء على الدور الذي يلعبه في تشكيل جمالية الرواية وصورتها النهائية، وهل استطاع أن يتجاوز حدود السرد الكلاسيكي الذي يقوم على خطيّة الزّمن وتتابعه؟ كيف استطاع الوقوف على أنواعه والتحكم في نسجها حتى صارت عملا متكاملا؟ وهل نستطيع اتخاذ دلالة الزمن موضوعا للدراسة والبحث...؟ هذه الأسئلة وغيرها شكلّت اللحمة الرئيسية للموضوع، وكانت قوام هذا البحث وأساسه.

انطلاقا من تلك الإشكالية جاء عملنا في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمه، تطرقنا في الفّصل الأول للحديث عن الزّمن التاريخي ودلالته في رواية الكافية و الوشّام التي عكست الواقع الذي عاشته الأمّة الجزائرية في فترة الثمانينيات وما بعدها، والتي كان عامل الزّمن فيها حاضرا بقوّة، فكل لحظة تمر تصاحبها أحداث جديدة وأمور مستجدّة، وقد تعرضنا لأحداث 05 اكتوبر 1988 إضافة إلى التعدّدية الحزبية .

أمّا الفّصل الثاني فكان للحديث عن المفارقات الزمنيّة وما لها من دور في فهم الزّمن وكشفه، وبسطنا فيه الحديث عن الاستباقات و الاسترجاعات، قسمنا الاسترجاع إلى ثلاثة أقسام

(داخلي وخارجي ومختلط)، وقسمنا الاستباق إلى قسمين (داخلي وخارجي)، مع تبيان الدّلالات التي أفادتها .

ثمّ يليه الفّصل الثالث الذي وقفنا فيه على الزّمن النّفسي ودلالته في الرواية أيضا ، من خلال تعرضنا لزمن الانتظار وزمن الحلم.

أمّا الخاتمة فقد خصّصناها لأهم النتائج التي توصّل إليها البحث، من خلال رحلة المقاربة للكشف عن دلالة الزّمن في الرواية محّل الدّراسة.

تسعى هذه الدراسة للإجابة عن الإشكالية المطروحة معتمدة على المنهج البنوي والسيميائي، ويعود الاعتماد على هذان المنهجين لكونهما يمتلكان القدرة على تحديد ومساءلة آليات انبناء الزّمن داخل العمل الروائي، بالاضافة إلى فعاليتهما في رسم معالم البنيّة الزمنيّة من خلال الكشف عن العناصر المكوّنة لها.

أمّا من الجهّة التوثيقية فقد اعتمدّت الدراسة على مصدر واحد هو رواية " الكافية والوشّام " ل " محمّد مفلاح " محّل الدراسة، ومراجع متنوعة أهمّها:

ـ بنيّة النص السردي لحميد لحمداني .

ـ بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي.

ـ الزّمن في الرواية العربيّة لمها حسن القصراوي .

ـ الزمان الدلالي لكريم زكي حسام الدين .

ـ الزمن والرواية ل أ.أ مندلاو (A – A Mandiilow).

ـ خطاب الحكاية لجيرار جينيت(Gèrard Genette).

بالاضافة إلى بعض المجلات والرسائل الجامعية.

ويجدر بنا في مقامات العلم والبحث فيه وتحصيله أن نتوجه بالشكر والعرفان إلى كلّ من سدّد خطانا، وكان عونا لنا على بلوغ المرام، وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن ننوّه بالمجهودات التي بذلتها الاستاذة المشرفة: الدكتورة نعيمة بن علية على التوجيهات والنصائح التي قدّمتها لنا والتي كانت نبراسا يضيئ العتمة التي كانت تلفّ بعناصر البحث وأجزائه.

الفصل الأول: الزمن التاريخي في رواية " الكافية والوشام ".

1- مفهوم الزمن التاريخي

2- دلالة الزمن التاريخي

أ/ أحداث 05 أكتوبر 1988م.

ب/ التعددية الحزبية والانتخابات.

1- مفهوم الزمن التاريخي:

حظيّ الزمن باهتمام الفلاسفة والمفكرين لأنّه يتضمن جملة من الثنائيات المتناقضة والمتعلقة بالكون والحياة والوجود والعدم، والثبات والحركة، والحضور والغياب، والزوال والديمومة، والإيمان والكفر، والحياة والموت... وغيرها فالزمن إذًا هو ذلك الوجه الآخر للكون. فبوجود الإنسان بالكون بدأت الحياة البشرية مسيرة جريانها، وشرع الزمن بحركته الدائبة يمارس فعله في الوجود على كلّ المخلوقات، لأنّه كالموت حق على كلّ حي وهو يعمل في كلّ وجود فقد وصفه الدكتور حسن بحراوي بأنّه « ينخر كالسوسة في باطن كل كائن محدود »[1] ، لذلك نجد الزمن ينتقل بحركته اللامرئية بين ثلاثة أبعاد الماضي، هو ما كان موجودًا ولم يعد له وجود وأصبح عدمًا، والحاضر هو الماثل في الوجود والرابط الحقيقي بين القبل (الماضي) والبعد (المستقبل)، والمستقبل، هو ما لم يوجد بعد وهو العدم الذي سيصبح وجودًا بعد تلاشي الحاضر وتحوله إلى الماضي الذي يحاول بدوره أن يرصد لنا التاريخ بتفاصيله ومراحله المتسلسلة ونطلق على هذا النوع من الزّمن، الزّمن التاريخي الذي نحاول أن نتطرق إلى مفهومه في الدراسات الفلكية والفلسفية والتي تتوافق مع المفهوم الأدبي ولاسيما الروائي، لأنّ الانسان أحسّ منذ القديم بهاجس الزّمن وكابد معاناة ومآس من أجل الوصول إلى حقيقته ولهذا أدرك الروائيون أهميته في أعمالهم، لأنّه يعتبر من أهم التقنيات التي تؤثر في البنية العامة للرواية[2]. فمن خلاله تحدد السّيمات الأساسية للرّواية لأي عمل سردي لا يستقر على حال

[1] حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1987م، ص26.

[2] ينظر: عبد الحميد المحادين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، ط1، 1999م، ص61.

ولا تقوم له قائمة في ظلّ غياب هذا العنصر فهو بمثابة الروح للجسد.

إلاّ أنّ الزمن يختلف من بنية سردية إلى أخرى، حيث إنّه خطيٌّ في الرواية التقليدية لا يعرف التكسر ولا التجزؤ، فهو يبدأ من البداية ليصل إلى النهاية. ذلك أنّ البنية السردية التي تحترم التسلسل الزمني في صورته الرتيبة وتتقيد به تختلف عن البنية السردية في الرواية الجديدة كما أنّه يرتبط ارتباطا وثيقا بالتاريخ. وفي هذا الصدد يرى " طه وادي " « أنّ التاريخ حين يصبح مادة للرواية يصير بعثا كاملا للماضي يوثق علاقاتنا به، ويربط الماضي بالحاضر في رؤية فنية شاملة فيها من الفن روعة الخيال ومن التاريخ صدق الحقيقة »[1] حيث يعمد الروائي إلى حصر أشكال الزمن وتمظهراته كلّها في الزمن التاريخي الذي تكون فيه الأحداث مرتبة بحسب الزّمان حدثا بعد الآخر دون ارتداد وهو أبسط أشكال النثر الحكائي[2] أي أنّ العودة إلى الزمن التاريخي هي التطلع إلى الحقيقة التي تحدثت في تلك الفترة، أي أنّ الروائي يخرج تلك المكبوتات إلى الحاضر. ولذلك نجد أنّ مفهوم الزمن وحدوده لم يكن بالشيء الهين لدى الفكر الانساني بصفة عامة، بحيث تناثرت حوله الرؤى وتباينت المواقف في مختلف الميادين العلمية لذا تصبح عملية تعريفه وتحديد معالمه بدقة لا تخلو من المبالغة والتهويل، ولهذا ما يزال عنصر الزّمن ينخر مصير الانسان بشقيه؛ الكلّي والذي يمثله الجسم وما يطرأ عليه من تطورات وتغيرات من الشباب إلى الشيخوخة. وارتبطت بتقلبات العقل والعاطفة حسب ما ينتابها من اضطرابات ويصادفهما من أحداث وتراكمات تتسّم بالمفاجأة . التي فرضت على الانسان الاهتمام بالزّمن والخوف منه حتى كاد يكون العمود الفقري للوجود كله وصانع أحداثه ومواقفه التي يتعرض لها الإنسان في تعامله مع

[1] طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1980م، ص169.

[2] ينظر: عبد القادر أبو شريفة، وحسين لافي قوق، مدخل إلى تحليل النّص الأدبي، دار الفكر، عمان، ط4، 2008م، ص98.

الطبيعة والكون[1] بمعنى أنّه شغل تفكير الإنسان منذ أقدم العصور وجعل منه نقطة ارتكازه واهتمامه وبحثه وذلك بالرجوع إلى التاريخ الذي يبين لنا أنّ الزمن ليس كما تصورته معظم مجتمعات العالم (والتاريخ القريب الاستثناء الواضح الذي يتصف بخاصتين رئيسيتين) [2]

أ/أنّه كان قياسا للعمر ومدّة البقاء والعمليات الجارية استثناءً إلى المعيار الإنساني ومن ثمّ كان نسبيّاً وكانت عبارات مثل (أكبر من) أو (صغير جدًا) و (المرّة الأولى) أو (النهاية) أهم كثيراً من الحسابات المطلقة للأعمار.

ب/ الزمان بوصفه تجربة يتميز في جوهره بالتواتر والتكرار. فهو ينطوي على دورات متعاقبة للأحداث كالميلاد والموت، والنمو والانحلال بحيث يعكس دورات الشمس والقمر والفصول، والوقت المناسب لأداء الأشياء يأتي مرة تلو الأخرى على فترات منتظمة.

لذلك نجد أنّ الزمان دورة تعود مجددًا إلى ما لا نهاية ولا تعْني أبدًا تكفل الميلاد الجديد وحياة المستقبل على الأرض ولو احتكمنا إلى المنهج التاريخي في معالجة بعضٍ من تلك المفاهيم لوجدنا أنّ الزمن كان يعبد في العصر اليوناني فنُحتت له صورٌ وأشكال مختلفة ترمز كلها إلى الخير والإخصاب[3] " فولسون" برجوعه إلى العصر اليوناني وجد أنّ الزمن مرتبط بالوجود فيحاكي فيها تارة الإنسان من خلال عمره والحياة التي قضاها، وتارة أخرى يحاكي فيها الكون أو الطبيعة من خلال دورات الحياة أي دورات الشمس والقمر والفصول... وغيرها وكلّها كانت مصادر للعبادة لذلك نُحتت لها أجسام. ووفق ذلك المنظور تداخلت اشكالية الولادة، والحياة، والموت، والزمن في

[1] ينظر: بشير بويجرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري(1970م-1986م) ج1، منشورات دار الأديب وهران، 2008م، ص03.

[2] ينظر: كولين ولسون، وجون جرانت، فكرة الزمان عبر التاريخ، تر: فؤاد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص12.

[3] ينظر: بشير بويجرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي، ص06.

نظر الفكر اليوناني حتى كاد الجمع يتفق على أنّ الهم الأول والأخير لمعاناة الانسان في حقب تاريخية مختلفة هو الزمن، ومن هنا اتفق جلّ الفلاسفة على ارتباط الوجود بالزمن مع خلود ماهية الأخير في حركة كماً وكيفاً، إذ لا زمن بدون حركة ولا وجود بعيداً عن دائرة الزمن[1] وإذا كان الإنسان العربي يعانق الزمن وظواهره في كلّ لحظة حيث غشيّ اللّيالي وقاتل فيها أو قتل ونهب وانتهب... فعبّر عن ذلك تعبيرًا انبثقت منه مواقف إنسانية معتمدة على التجربة اليومية التي مزجت الزمن مع ذاته فإن للمجتمعات تصورًا ما عن زمن مضى وعن أسلافهم وهذا التّصور يمكن أن يتخذ أشكالا عديدة منها الكتابات التاريخية التي تروي الأحداث وفقا لتسلسلها الزمني؛ وذلك لأنّ المجتمعات تضفي المعنى على الحاضر بالرجوع إلى الماضي كما أنّها تظاهر سلطة الحكام التقليدية وتحدد الهوية القبلية أو الوطنية وتؤسس ماهو خير في السنن الأخلاقية، أو القانون أو الشريعة الدينية بالرجوع إلى ما يقدّسه الزمان[2] أي أنّ الزمن بماثبة الروح للإنسان من خلاله تستطيع المجتمعات الرجوع إلى الماضي عن طريق الكتابات التاريخية التي تروي الأحداث وفق تسلسلها الزمني، فبرجوع الإنسان إلى الماضي يعزز للحاضر بدلا من أن يكون موضوعاً للبحث النزيه والمجرد عن الهوى ولأنّ معظم المجتمعات مستقرة راكدة ومحافظة بصورة مسرفة فإنّ الماضي يميل إلى الاندماج في الحاضر ليضعا معاً نوع من السديم مختلط وبذلك يفقد الماضي كيانه وهويته المتميزة[3] بمعنى أنّ الرجوع إلى الماضي من خلال الزمن التاريخي هو الذي مهدّ للإنسان الطريق من أجل بناء حاضره وأظهر له الفرق بينهما. لذلك فإنّ اكتشاف هذه الفوارق الجوهرية القائمة بين الأزمنة الماضية وبين الحاضر الذي هو لب البحث التاريخي الحديث والذي تمخصّ لأول مرة عن الوعي بالمفارقة الزمانية وقد وصف المؤرخ الألماني – الذي عاش في القرن

[1] ينظر: بشير بويجرة ، بنية الزمن في الخطاب الروائي، ص07.

[2] ينظر: كولن ولسون، جون جرانت، فكرة الزمان عبر التاريخ، ص19.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص20.

التاسع عشر – في سياقه الخاص « وينبغي أن يعامل كلّ شخص وكلّ حدث وكلّ فترة بوصفها كيانا مستقلا وعلى قدم المساواة مع غيرها وذات دلالة في ذاتها، فلكلّ لحظة تاريخية معناها الخاص في ذاتها ولكل عصر روحه الخاصّة»[1] بمعنى بعد أن تعرّف الانسان على هذه الفوارق برجوعه إلى التاريخ يجب أن يعامل كل زمن معاملته الخاصة، فالزمن في الرّواية الكلاسيكية ينطلق من عملية قص للماضي متتبعا ذلك بأمانة وصدق على سبيل الارتداد أو التذكر وفي ذلك يقول " ميشال بوتور" MICHEL BITTOR « لست قادراً على رواية قصة بحسب تسلسلها الزّمني إن لم تكن قصة من الماضي، وهذه الطريقة لا يمكن تطبيقها على حاضر لا يتوقف أبداً»[2] وإذا عدنا إلى ما يزعمه الروائيون ومن ورائهم النقاد في الكشف عن الزّمن عبر الخطاب الروائي وتحديد واختيار مساره وكذا اختيار مظهر من مظاهره أو خيط معين من خيوطه أو نسج محدد من نسوجه يعدُ شيئا تقريبيا لا يرقى إلى إلتماس الدقة فالسارد حيث يسرد حكاية ما عبر نص روائي ما، لا يستطيع الاجتزاء باصطناع زمن معين يتسم بالرتابة والوحدة بل تراه شاءأم أبى يُضطر إلى اصطناع كل الأزمنة الممكنة متفرقة متباعدة أو متزامنة متقاربة.[3] وبهذا فإنّنا نجد أنّ الزمن من حيث هو يجب أن يتّصف بالتاريخية في أي شكل من أشكالها وإذا كان الروائيون الجدد يرفضون بإصرار تاريخية الأحداث وواقعية الشخصيات في أي عمل من الأعمال السردية فإنّهم لا يستطعون أن ينكروا بأنّ ابداعاتهم الروائية مهما تحاول التّملص من الزمن والتّنكب عن سبيله فإنّها واقعة تحت وطأته فالزمن إذن ضرب من التاريخ والتاريخ هو أيضا في حقيقته ضرب من الزمن فهما متداخلان بل هما شيء واحد. يبقى فقط التمييز بين حدث ابداعي يقوم على الخيال

---

[1] كولن ولسون، جون جرانت، فكرة الزمان عبر التاريخ، ص22.

[2] ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، عويدات للنشر والطباعة، ط3، 1986م ص98.

[3] ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، 1998م، ص179.

البحت، وحدث تاريخي يُزعم له أنّه يقوم على الحقيقة الزمنية بكلّ ما تحمل من شبكية، تستمد حبالها المعقدة من الانسان وحياته وصراعه واصراره[1] أي أنّ كلّ عمل إبداعي مرتبط بالأزمنة فمثلا إذا أراد أن نتحدث عن الحاضر فلا بد لنا بالرجوع إلى الماضي ففكر الإنسان مرتبط به ولذلك فإنّ الانطلاق من لحظة الحاضر ومن أسرار الواقع إلى الماضي يكون عبر الذاكرة. لذلك اهتم الروائيون الكلاسيكيون اهتماما خاصاً بالزمن التاريخي الذي يمثل المقابل الخارجي الذي يسقطون عليه عالمهم التخييلي فالزمن في الرواية التقليدية يسير نحو مستقبل يؤكد حتميا مصير البشرية وهي مآل الانسان للموت[2] وذلك بكونه لا يملك خاصية التوازن والسير في اتجاه متواز مع الأحداث، لأنّه مرتب ترتيبا زمنيا أصيلا[3] فهو بمثابة المصير الذي تغيره الأحداث وعلى هديه تسجل الوقائع ولذلك اهتم به العديد من القصّاصين والروائيين وعدّوه عنصراً فاعلا ومحركا للأحداث كقصة الحرب والسلام " لتولستوي" ورواية البحث عن الزمن الضائع " لبروست " ورواية استعمال الزمن " لميشال بوتور".

فهو إذن بمثابة الهيكل الذي تشيد فوقه الرواية [4] لأنّه يعتبر حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلاّ من خلال مفعولها على العناصر الأخرى، إلاّ أنّ عنصر الزمن يتغير من رواية إلى أخرى بنوعية الطريقة التي يتبعها الكاتب[5] فإذا كان في النصوص الروائية الكلاسيكية بهذه الخصائص فإنّه يختلف في البناء الروائي الجديد، إذ يتسم بالتعقيد والعمق لأنّه يفاجئنا بانتقاله من زمن لآخر فقد ينتقل من زمن الحاضر ليعود إلى الماضي ثمّ المستقبل وذلك بتبني تقنيات سردية مدمرة

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص180.

[2] ينظر: سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984م، ص64.

[3] ينظر: وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1985م، ص37.

[4] ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية ، ص34.

[5] ينظر: محبة الحاج معتوق، أثر الرواية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1998م، ص94.

للحركة السردية الخطية[1] بمعنى أنّ عنصر الزمن ضروري في الكتابات الأدبية رغم أنّه يتغير من كاتب لآخر وذلك لأنّه يتبنى تقنيات سردية تختلف بحسب زمن الرواية أو بالأحرى زمن الكتابة ومثال ذلك الرواية الكلاسيكية التي تختلف من حيث البناء عن الرّواية الجديدة.

ومن ثمّة أصبح الزّمن في الرواية الجديدة يشكل شبكة من العلاقات « لأنّه نسج ينشأ عن سحر، ينشأ عن عالم، ينشأ عن وجود، ينشأ عن جمالية سحرية أو سحرية جمالية... فهو لحمة الحدث وملح السرد، وصنوا الخير وقوام الشخصية»[2] بمعنى الزمن الذي يقدم فيه السارد رؤيته في سياق جديد، لأنّه لا يستطيع من خلاله التأثير في خطية الزمن وارتباطه فيجعله زمنا متجزءًا متكسراً، كما يتحدث عبد الملك مرتاض عن الحادثة التاريخية وعلاقاتها بالزمن وتعاملها معه بقوله « التعامل مع الحادثة التاريخية وفق الاجراءات التي يكتب بها التاريخي، وتحلل بها أحداثه وتفلسف بها سيرورته: ولا نحن كتبنا أدبًا روائيا على أساس أنّنا حاولنا أن نتعامل مع الزمن على أساس أنّه حقيقة تاريخية من حيث عاملنا العناصر الروائية الأخرى على أنّها محض خيال، ووهم تمثيل واستحضار للأحداث لم تقع قط على نحو ما كتبناها عليه»[3]

وبذلك فإنّ الزمن التاريخي وتوظيفه داخل النص الروائي يكون بالاتكاء على الزمن الماضي اتكاءًا يكاد يكون كليًا، فعودت الشخصية الروائية للماضي داخل نصوصنا الروائية لم تكن بدافع العاطفة أو نتيجة مرض عقلي أو تأزمات نفسية، بل كانت تلك العودة من أجل البحث عن شيئ مهم في تركيب الشخصية أو البحث في جذورها الحضارية كالبحث عن الأم والأب والوطن

[1] ينظر: عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية ، ص199.

[2] المرجع نفسه، ص207.

[3] المرجع نفسه، ص186.

أو لغاية ايديولوجية ناجعة لحلّ الوضع الآني[1] وبهذا نفهم أنّه لو حاولنا أن نعامل الزمن على أنّه حقيقة والشخصيات على أنّها مجرد كائنات من تصوّر الخيال، والزمن على أنّه تاريخ والأحداث على أنّها وهم من أوهام الكتابة لما استقام لنا ذلك الخلق العجيب في الخلط الغريب في أذهاننا ولو لها لما حملت الرواية أو الكتابات الروائية عنصر التشويق واللّذة لدى القارئ لذلك فإنّ الرواية الزمنية مقيدة مكبوتة ومقهورة وهي اجتماعية تلريخية أكثر منها إبداعية جمالية، لأنّ الشبكة الزمنية عبر النّص الروائي تبعا للأحوال التي تلابس الشخصية تساعد المبدع بمقدار إبداعاته على تحديد الزمن والتكييف معه من حيث الشخصيات والأحداث السردية.

2) دلالة الزمن التاريخي:

أ/ أحداث 05 أكتوبر 1988م:

تعتبر أحداث 05 أكتوبر 1988م أحداثا تاريخية حفرت في ذاكرة الجزائريين حفرة عميقة لم تمحها السنون الطويلة ولا رياح التغيير بل بقيت في عقولهم وقلوبهم وفي صفحات بيضاء ملأها الكتّاب والروائيون بسرد أحداث ذلك اليوم الذي لم يكن قبلا أكثر من تاريخ لأنّ تلك الفترة غرست في نفوس الجزائريين القلق والخوف وجعلت تفكيرهم مرتبطًا بالأحداث الجارية فتغيرت المواقف ولم تعد أفكارهم تحوم حول ما حدث في الثورة وما تركه الاستعمار من أضرار وإنّما غرس في فكرهم حب التملك والسلطة والوصول إلى كرسي الحكم ، وهذا ما شكل منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر وفي ارتباط بعض أحداث الرواية به، حين يدفعنا الرّاوي إلى التمعن في تاريخ مأساوي آخر للجزائريين يوضح لنا من خلاله النهاية التي آل إليها شباب جمعوا أنفسهم بين التيارات السياسية المتصارعة وأفنوا حياتهم في تلك المواجهات التي قامت بين بعضهم فعكست تلك الأحداث واقعا

[1] ينظر: بشير بويجرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري، ص27.

حيًا لمرحلة معلومة كثرت فيها التناقضات، وتداخلت فيها المصالح وتعارضت حتى أصبح الخوف من المجهول هاجسا لا يستثني أحدًا. وهنا يظهر ارتباط الزمن ارتباطا وثيقا بالتاريخ حيث إنّ التاريخ يمثل إسقاط للخبرة البشرية يختزن خبراتها مدونة في نص له استقلاله عن عالم الرواية ويستطيع الروائي أن يغترف منه كلّما أراد أن يستخدم خيوطه في عمله الفنّي[1] أي أنّ الروائي

يقوم بنسج روايته جيدا حيث يضع بداية لمقدمته تبيّن أنّه لجأ إلى استخدام الزمن التاريخي ليبين لنا ما هو حاصل في الحاضر وهذا ما فعله " محمد مفلاح* " في " الكافية والوشام " حيث إنّ أحداث 05 أكتوبر 1988م غيرت من مزاج الجزائريين وجعلت أيّامهم غير هادئة ولم تكن الحياة هنيئة بين الأسر والأزواج، وذلك بسبب التفكير فقط في النجاح والحفاظ على المكانة أو الوصول إليها. لأنّ هذه الأحداث أرادت أن تغير النظام الذي كان في الجزائر وفي السياسة التي تركها الاستعمار الفرنسي لكن لم تكن تلك النتيجة المتوقعة حيث أنّ أحمد معاليش وفتيحة الوشام التي لم تذق من زوجها طعم السعادة والهناء والراحة وإنّما كان طول الوقت يضربها ويشتمها « فسّبها واسمعها ما

---

[1] ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية، ص68.

* محمد مفلاح كاتب وروائي جزائري وباحث في التاريخ من مواليد 1953م بغليزان، نشر مقالاته الأولى بالملحق الثقافي لجريدة الشعب الذي كان يشرف عليه الروائي الطاهر وطار(1973م-1976م)، كما نشر قصصه الأولى في بداية السبعينيات من القرن الماضي بالجرائد والمجلات الوطنية ومنها (الوحدة، آمال جزائرية، النادي الأدبي لجريدة الجمهورية) وطبعها سنة 1983م تحت عنوان " السائق" ألّف أكثر من عشر تمثيليات للإذاعة الوطنية (1973-1975م) ومنها شاعر القرابة، فلسطين الجريحة، أبناء الثورة، الأرملة...الخ.

مارس العمل النقابي، اذ انتخب أمينا عاما للإتحاد الولائي بغليزان وعضو المجلس الوطني تولى عدّة مسؤوليات بالمجلس الشعبي الوطني.

صدرت له أول رواية: وهي (الانفجار) كما صدرت له بعد ذلك عدّة روايات أخرى وهي (هموم الزمن الفلاقي، زمن العشق، والأخطار، بيت الحمراء، الكافية والوشام...وغيرها) ومجموعة قصصية (أسرار المدينة) وثلاثة قصص للأطفال بالاضافة إلى سبعة كتب في التاريخ.

كما نشر العديد من المقالات بالصفحة الثقافية (1985م) والقسم الثقافي بجريدة صوت الأحرار (1999م-2006م) وأسبوعية المحقق (2006م-2008م).

يعيش محمد مفلاح إلى حدّ الآن بمدينة غليزان التي ألهمته كتابات إبداعية وأنجز بها كلّ أعماله المتعلقة بتاريخ وتراث منطقة غليزان وهو اليوم بعد تقاعده متفرغ للكتابة الإبداعية والبحث في تاريخ المنطقة وتراثها الثقافي.

جرح كرامتها، قال لها بأنّها فاسقة وابنة لامرأة ساقطة وهو الذي أنقذها من بيت السوء ومخالب الحرمان وصعاليك المدينة »[1] فلم يكن تفكير أحمد معاليش في إنشاء أسرة أو عائلة وإنجاب الأولاد والعيش في سعادة وإنّما كان جلّ تفكيره في الحفاظ على مؤسسة " الكافية " – وهي مؤسسة يقوم بتسير شؤونها – ممّا دفع " فتيحة الوشام" إلى كرهه والتفكير في قتله « ثمّ اهتدت إلى فكرة قتل زوجها الذي سترث وحدّها كل أملاكه وأمواله »[2] وبهذا نلحظ أنّ الجشع وصل حتى إلى فكر " فتيحة الوشام " وأنّها هي التي ستصبح مالكة المؤسسة وسيدة مجتمع لها مكانتها إذا ما قتلت زوجها. وهنا يظهر أنّ التاريخ يعيد نفسه فما حدث في زمن الماضي (التاريخ) في الجزائر يشهده العرب اليوم فمن أجل الحكم والسلطة تحدث اليوم ثورات. وبعد أن سرد لنا الروائي أنّ الحياة لم تكن سعيدة بين الأسر والأزواج وذلك بسبب التغيير الذي جاء من أحداث 05 أكتوبر 1988م فأصبح تفكير الشعب الجزائري في تلك التغييرات والتي كانت انطلاقاتها من هذا التاريخ، ويظهر في الرّواية أنّ " محمد مفلاح " لجأ إلى تحديد الفترات الزمنية بالسنيين والشهور وغيرها كما قالت " سيزا قاسم " أنّ التاريخ أو الزمن التاريخي « يدفع بالروائيين إلى تحديد الفترات الزمنية في أعمالهم الروائية بالسنين والشهور والأيّام والأسابيع والساعات وغيرها من التقديرات الزمنية »[3] ونجد في الرواية عدّة أمثلة منها في قوله: « منذ بداية أحداث أكتوبر 1988م تغيّر مزاج زوجها، أصبح عصبيا شعر أن أيامه لن تكون هادئة »[4] أي أنّه منذ بداية هذه الأحداث لم تعد حياة الناس هادئة وأصبح كل شيء يقلقهم. ونجد أيضا « سجن نفسه في البيت المتواضع مدّة

[1] محمد مفلاح، الكافية والوشام، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، 2002م، ص08.

[2] الكافية والوشام، ص39.

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص69.

[4] المصدر نفسه، ص08.

ثلاثة أيام، قضاها متفرجا على شاشة التلفزة »[1] بمعنى أنّه من شدة القلق والتوتر أصبح الناس لا يخرجون إلى شوارع المدينة بل يفضلون الاستماع إلى الأخبار من التلفزة أفضل من أن يخرجوا ويستمعوا إلى كلام لا يعجبهم فيثوروا غضبا ويدخلون في شجار، وغيرها من الأمثلة التي وظّفها الروائي ليدل بها على الزمن التاريخي. لأنّ هذا الزمن يمثّل محور الرواية وعمودها الأساسي، مثلما هو محور الحياة ف« إذا كان الأدب يعتبر فنا زمنيا إذا صنفنا الفنون إلى زمانية ومكانية، فإنّ القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقا بالزمن »[2]

وإذا عدنا إلى الرواية المختارة في هذا البحث، فإنّنا نجد عنصر الزمن يحظى بأهمية خاصة، فقد بدا الهيكل الذي يشيّد عوالم هذه الرواية، ويشد عناصرها الأخرى بعضها إلى بعض، وما زاد من أهمية الزمن، هو انخراطها ضمن الروايات التجريبية التي لا تلتزم بالأسلوب التقليدي في الكتابة القائمة على تسلسل الزمن والأحداث، وإنّما تجعل منه « موضوعا للرواية لا مجرد دليل على نمو الحدث وتطور الشخصيات »[3] فتداخل الأزمنة الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، تحدث مفارقات زمنية تختلف من نص روائي إلى آخر وهذا يؤكد اهتمام الرواية المختارة بالزمن واعتمادها على مداخيل زمنية تشي بأهمية هذا المكون على مستوى التشكيل الفنّي للنّص الروائي. وتفتح رواية " الكافية والوشام " سردها بالمقطع الزمني الآتي: « حرارة اليوم لا تبشر بخير والمدينة كعادتها تنتظر بلا أمل سنوات ممطرة لا يخرج فيها الناس من بيوتهم، وقد ترغمهم على قضاء أوقات ممتعة مع أفراد أسرهم في زمن انشغل كل شخص بهمومه الخاصة »[4]

---

[1] الكافية والوشام، ص39.

[2] عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص115.

[3] أمينة رشيد، تشظي الزمن في الرواية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ص08.

[4] المصدر نفسه، ص03.

فهذا المقطع يحاول أن يظهر الواقع والحقيقة التي كان يعيشها الجزائريون بعد أحداث 05 أكتوبر 1988م وكيف كان كل واحد منشغلاً بأموره وهمومه التي تقوده إلى حياة أفضل ليعطي لنا تفسيراً عن الحاضر وحلولا لمشاكل الغد أي ايجاد حلّ للمستقبل من خلال تفكير " فتيحة الوشام" للتخلص من زوجها واحتكارها لكل أملاكه لتصبح فيما بعد من الشخصيات الكبار التي كان لها دور في تلك الفترة « ثمّ اهتدت إلى فكرة قتل زوجها الذي سترث وحدها أملاكه وأمواله »[1] كما يتجلى الاهتمام بالزمن على مستوى أقسامها التي جزأها الكاتب إلى لحظات زمنية تمتد من الحاضر إلى المستقبل « محمد الراشدي – وهو إطار متقاعد – يعمل على أن يصبح الرجل الأول في المدينة وأمله أن يعين لأي منصب هام بمؤسسات الدولة »[2]

بالإضافة إلى ما سبق يمكن أن نقول أنّ الزمن يكتسي في الرواية انطلاقا من هذا التاريخ الهام والمحدد بدقة فائقة: « منذ أحداث 05 أكتوبر 1988م لم تعد فتيحة الوشام قادرة على التمييز بين التيارات السياسية المتصارعة في جو مشحون بالأحقاد الدفينة »[3] فمن خلال هذا المثال والذي يمثّل عنصراً مهما في البحث كونه يخبرنا عن الصراع السياسي الذي جاء أعقاب هذا الحدث، كما تلج الرواية الماضي التاريخي، وتفتح له مساحات شاسعة، ولكن لماذا العودة إلى الماضي؟ وكيف يتم استحضاره ورؤيته على ضوء هذه التجارب الروائية؟ وكيف يمكن أن نعتبر الحاضر هو إعادة للماضي التاريخي؟

ترتكز النماذج من الرواية المختارة على الذاكرة، وإن كانت تنطلق من لحظة الحاضر، إلاّ أنّها تعود إلى الماضي لتتغذى على مخزون الذاكرة التي تعد « من التقنيات المستحدثة في

[1] الكافية والوشام، ص10.

[2] المصدر نفسه، ص34.

[3] المصدر نفسه، ص04.

الرواية... والاعتماد عليها يضع الاسترجاع في نطاق منظور الشخصية ويصبغه بصبغة خاصة تعطيه مذاقا عاطفيا»[1]

كما يلتقي نص الرواية التي بين أيدينا في تواصلها اللامحدود مع الماضي الذي يبدو مهيمنا على لغة خطابها السردي، ويمثل الارتداد للماضي واسترجاعه علامة دالة من العلامات التي تميز الرواية فهي تعبير عن ميل كبير إلى « الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائيا عن طريق استعمال الاستذكارات التي تأتي دائما لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي»[2] ولعلّ الاستثناء الوحيد في ما اخترناه من الرواية هو ذلك التاريخ المهم والرئيسي والذي بدأ منذ 05 أكتوبر 1988م حيث حدّد الزمن انطلاقا من هذا التاريخ والذي يشغل الماضي فيه ليستحضر في ذاكرتنا الحاضر أي الواقع الذي نعيشه ونحياه الآن، وقد أخذ منحى تاريخيا وطبيعيا ونفسيا وأسطوريا، ممّا يصعب من عملية الإمساك به والإحاطة بكل تجلياته.

وبالعودة إلى الرواية نجد أنّ زمنها الفعلي (زمن القصة) لا يصل إلى عام واحد أي حوالي خمسة أشهر. تبدأ أحداثها من هاجس الانتظار وحب الانتقام، والتطلع إلى حياة أفضل، وما جلبه لفتيحة الوشام، من هموم وأحزان وصراع مع الذات هذه المرأة الجميلة التي لن تتجاوز عقدها الثالث ولعلّ اللافت للإنتباه أنّ بؤرة السرد الحقيقية لم تبدأ إلاّ بعد زواجها الرابع من " **أحمد معاليش**" المسؤول الأول عن مؤسسة " **الكافية** " العمومية خلال الفترة التي أعقبت أحداث الخامس من أكتوبر 1988م وما عرفت من تحولات كبرى على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية... وقد رأت في زواجها بأحمد معاليش صفقة رابحة، فالرجل ثري، وقد

[1] سيزا قاسم ، بناء الرواية، ص43.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص121.

تجاوز عمره الخمسين، وكان يعاني من مرض القلب، وموته محتمل جداً في الأيام القادمة القريبة، وسترث أملاكه وأمواله ومعاشه المنقول.

فبدأت " **فتيحة الوشام** " رسم خطتها للقضاء على زوجها " **أحمد معاليش** " فاتفقت مع "**حميدة الرفاف** " جارها السابق في حي القرابة بمدينة غيليزان، على تنفيذ الخطة بعدما توسطت له عند زوجها ليصبح موظفا بمؤسسة الكافية، وقد زوجته بخادمتها وساعدته للحصول على مسكن بفضل وساطة " أحمد معاليش " ووعدته إن تمكن من القضاء على زوجها، بأنّها ستتزوجه ويصبح الرجل الأول في الكافية وصاحب فيلا النوارة التابعة للمؤسسة لكن حميدة كان أكثر ذكاءاً منها وافق على طلبها، لينقلب السحر على الساحر، وقرر أن ينتقم منها ومن زوجها بطريقته الخاصة، بعد أن استغل ثقتها المفرطة به ليجمع الوثائق التي تدين زوجها، واستطاع أن يعبئ عمال الكافية ويحرضهم ضد " **أحمد معاليش** " وقد نجح في الإطاحة به بعد أن أدانته اللجنة الوزارية، ويصبح مكلفا بإدارة هذه المؤسسة . أمّا " **فتيحة الوشام** " فتقرر العودة إلى بيت والديها بحي القرابة بعد أن طلقها زوجها، وتكتفي بمنصب موزع المكالمات الهاتفية الذي وفره لها جارها بمؤسسة سياحية وتواصلت الصراعات على المؤسسة الكافية وحلم العديد من الأشخاص للحصول عليها إلى أن كانت المصادقة على دستور فبراير 1989م الذي فتح الباب للأحزاب وبدأ عهد جديد كثرت فيه التيارات السياسية وخطب الحماسة.

نلحظ أنّ السارد " **محمد مفلاح** " يعود بالذاكرة إلى استرجاع الماضي من خلال أحداث 05 أكتوبر 1988م، وينقل لنا الأوضاع التي عاشها الجزائرين وبما ارتبط تفكيرهم فتأخذنا أحداث الرواية يوما بعد يوم إلى أن نصل إلى نهاية الرواية وإلى تحديد تاريخ ايجاد حلّ لكل هذه الأزمات الحاصلة وليس إلى نهاية الصراع. لكن دون أن يذكر لنا الفترات الزمنية لحظة بلحظة لكنّها تظهر

لنا كيف يحاول الكاتب أن ينقلنا من الماضي إلى الحاضر بمعنى أنّ ماعاشه الشعب الجزائري في الماضي تأخذنا ذاكرتنا عند قراءته إلى ما يعيشه العالم العربي اليوم، وبقوله في خاتمة روايته أنّ هذه الصراعات والأزمات قد قلت بعد المصادقة على دستور فبراير 1988م، وكأنّه ينبئنا بالمستقبل وبأنّ هذه الأحداث التي يعيشها العرب لن تنتهي وإنّما بإيجاد بعض الحلول لها هذا بالنسبة للمفهوم الخفي للرواية.

أمّا إذا عدنا إلى استعمالات الزمن الحقيقية في الرواية فإنّنا نجد أنّ الروائي قد لجأ إلى استخدام الزمن التاريخي (الماضي) كونه عاد بنا إلى أحداث ماضية حين سرد لنا الحكاية، ويستمر هذا السيل من الذكريات الذي لا يخضع لرابط منطقي وإنّما يحتكم إلى منطق التداعي ليصل إلى الحاضر الذي يشكل إلاّ ساعات معدودة من زمن الرواية بينما ينفتح زمنها على الماضي الذي يشكل لبنة أساسية في بنائها الزمني وعلى الرغم من ضيق المساحة النصية للحاضر إلاّ أنّ قساوته هي التي تفجر سبيل الذكريات، فاللّحظة كما قال عنها بشلار: « هي التي تحدد الذكريات فعلا واقعا »[1] ونجد استعمال زمن الحاضر عندما يبدأ في سرد الحياة التي تعيشها فتيحة الوشام عندما « ابتعدت عن النافذة وهي تتنهد حانقة على نفسها ثم تحركت نحو السرير ورددت بحقد: " سأحطمه، سأحطمه "»[2] وكذلك في اللّحظة التي كانت تخطط للقضاء على زوجها « فكرت كثيراً في حميدة الرفاف، ظنت أنّها عثرت على الرجل الذي سيحررها من قيد...، توجهت نحو العمارة التي كان يجلس قربها... وتسأله عن أحواله...»[3]

---

[1] غاستون بشلار، جدلية الزمن، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط3، 1997م، ص11.

[2] الكافية والوشام، ص06.

[3] المصدر نفسه، ص20.

ثمّ يذهب إلى زمن المستقبل عندما تَعد فتيحة الوشام حميدة الرفاف إن تمكن من القضاء على زوجها ستتزوجه « وأجابها بحماس أكبر وبأنّه سيعمل من أجلها ولن يتركها تجوع وتعرى »[1] وغيرها من الأمثلة التي تناولها الكاتب حول الأزمنة.

لكن بالنسبة لترتيب هذه الأزمنة فلم تكن مرتبة ترتيبا زمنيّا، وإنّما قد أخلط فيما بينها فتارة يستعمل الماضي ثم ينتقل إلى الحاضر ليعود إلى الماضي أو من حاضر إلى مستقبل ثمّ الماضي وهكذا يسير إلى نهاية القصة.

وبهذا فإنّ التاريخي في الرواية يتشكل من خلال استنادها على مؤشرات لغوية تاريخية، تبرز في أقوال الشخصيات، وفي أفعالها، أو من خلال الاستعانة ببعض الامكانات كتوظيف المؤثرات الزمنية الدقيقة، أو توظيف الوثيقة لإدراج التاريخي في الرواية.

والمتأمل في الرواية يلفت انتباهه مدى اهتمامها بالزمن التاريخي وحرصها على استعارة وقائعه وأحداثه وشخصياته وتصدر هذه الرواية – بلا منازع – ذلك الحدث المهم والكبير المحدد باليوم والشهر والسنة والذي كان بداية انطلاق تلك الصراعات والنزاعات التي أشاد بها الجزائريون عامة والتي سارت حسب الرواية على مدار أربعة أشهر وبضعة أيّام أي إلى غاية المصادقة على الدستور الذي غيّر من الأحداث خاصة بعد تأسيس أحزاب تدافع عن حقوق المواطنين.

وبهذا يكون اهتمام الرواية بالزمن واستثمارها للأحداث التاريخية ومحاولة ترهينها، هو الذي جعلها تؤسس خطابها على المؤشرات الزمنية.

[1] الكافية والوشام، ص27.

ب/ التّعددية الحزبية والانتخابات:

مثلما تركت أحداث 05 أكتوبر 1988م بصمتها وتأثيرها في تاريخ الجزائر والذي أدرجه الروائي من خلال الزمن التاريخي الذي أعاد لنا رسم الأحداث في مخيلتنا وفتح المجال الواسع لتسرح في هذا التاريخ العميق. وذلك من خلال الأحداث التي جاءت نتيجة أحداث أكتوبر، وذلك لأنّ ما يؤكد ارتباط الرواية كبنية زمنية لغوية متخيلة– تقدم رؤية خاصة للعالم – بالتاريخ كعلم يمتاز بموضوعيته واعتماده على مناهج مضبوطة هو « اندراج أي نص أدبي في سياق مجتمعي تاريخي يشترط، ويحضر ظهوره، فعناصر ما قبل النّص الأدبية والاجتماعية والايديولوجية تحدد تُراث ومادة المؤلف التي يتشكل من انسجامها فاعل تاريخي ومجتمعي ملموس هو الكتاب»[1] لذلك نجد أنّ الرواية تتخذ أشكالا مختلفة ومتعددة في تعاملها مع التاريخ، وتختلف من روائي إلى آخر « منها ماحول بعث حقبة تاريخية في أمانة ودقة، ولم يتجاوز هذا الاطار المحدد واهتم في المقام الأول بالطابع المحلي، ومنها ما بعث التاريخ الماضي لكي يجري عملية اسقاط على الحاضر بغية نقد الحاضر وتغييره ومنها ما انطلق من الواقع التاريخي، وحوله إلى خيال صرف»[2] وهذا ما أفضى إلى اشتغال الرواية على التاريخ وإعادة إنتاجها لبعض أحداثه وأماكنه التاريخي (القديمة) بدلالات جديدة (معاصرة) ترتبط بالواقع الاجتماعي، والسياسي الذي تنسج حوله الرواية أحداثها.

وإذا تأملنا بعض النماذج في الرواية فإنّنا نلحظ أنّ الجزائريين أرادوا أن يغيروا من الأحداث التي يعيشونها ومن الواقع السائد عندهم أرادوا أن يكون لهم الحق في إدارة مؤسسة – الكافية –

[1] جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2012م/2013م، ص347.

[2] المرجع نفسه، ص348.

كذلك أشادوا إلى تشكيل أحزاب سياسية يدافعون بها عن حقوقهم وقد اعتبروها المثل الأعلى والأسمى في الدفاع عن حقوقهم بشرف وأمانة ولم يكن بعلمه أنّ تشكيل مثل هذه الأحزاب قد يَخلق مشاكل وأزمات سياسية جديدة « وانتقل إلى مقال آخر حول الصراعات السياسية التي تشدها البلاد وقال في نفسه أنّ التّعددية الحزبية لعبة خطيرة لا يفهم قواعدها المعقدة إلاّ من شبع عقله وبطنه»[1] بمعنى أنّ حتى بعد تشكيل أحزاب لم يهنأ الجزائريون بحياة هادئة ومستقرة وإنّما ساعدت هذه الأحزاب في إشاعة الفوضى من نوع آخر.

لذلك نجد أنّ اهتمام الرواية بالزمن واستثمارها للأحداث التاريخية ومحاولة ترهينها، هو الذي جعلها تؤسس خطابها على المؤشرات الزمنية ويمكن أن نمثل لها بالمؤشرات الزمنية التي تظهر من خلال الفصل الرابع للرواية حيث نجده مرتبطاً بشكل كبير جداً، أمّا الفصول الأولى من الرواية فقد سردت لنا الأحداث بفيلا " النوارة " ليواصل الفصل الرابع كذلك افتتاحيته بفيلا " النوارة " وذلك من خلال " أحمد معاليش " الذي ساده القلق بجلوسه ببيته فخرج يتفقد الأحوال داخل المؤسسة بعد ما علم أنّ الأوضاع أصبحت مزرية « لم يستطع المكوث في الفيلا فتعب السفر لم يمنعه من زيارة المؤسسة لمعرفة مايجري فيها، خرج حاملا حقيبته الجلدية ثمّ ركب سيارته السوداء وانطلق بها نحو المؤسسة، عاد من العاصمة مهموما أكثر»[2]

ولا يقتصر استثمار المؤشرات الزمنية على مقدمات الأبواب والوقفات وإنّما نجدها تنتشر على المتن الروائي بكثافة كبيرة تصعب عملية حصرها أو الإلمام بها، كما ترمي هذه التحديدات الزمنية

[1] الكافية والوشام، ص90.

[2] المصدر نفسه، ص62.

المنتشرة في الرواية إلى تكوين: نظير لمرجع خارجي وأيضا ترمي إلى إنتاج أثر معنى الواقع[1]

وأهم ما يميز الإشارات الزمنية في " الكافية والوشام " من خلال هذا الفصل (الفصل الرابع) هو تعالقها الشديد بالمستقبل حيث أنّ " أحمد معاليش " لم يستطع أن يستوعب ما سيحدث في البلاد نتيجة هذه التغيرات التي يطالب بها العمال « لم تكن لديه مألوفة مثل التداول القطيعة، المحاسبة، الحريات، الفردية، الجماعية، التعددية، التّغيير ثمّ التّغيير الشامل ولكن ما معنى التّغيير؟ كيف سيكون؟ وفي أي اتجاه، هل يتم إبعاد الرجال الذين قدموا الكثير للوطن بحجة التّغيير الجذري ومن يحدث هذا التغيير؟ إنّه خائف حقا. وما معنى الإصلاحات والإجراءات الجديدة التي كان يرددها المتدخلون وبحماس كبير؟»[2] بمعنى أنّه كان ينتظر مستقبل متغير، مستقبل لا يسير لصالحه وإنّما سيكون لغيره يعني أنّه سيفقد مؤسسة " الكافية " وسيخسر كلّ شيء.

كما وظفت الرواية الوثيقة التاريخية من خلال التوقع لما سيحدث نتيجة الأحداث التي كانت سائدة وخاصة الجرائد والتلفزيون فقد زادوا من قلق أحمد معاليش، كونه يعيش في هدوء ولم يتوقع أنّ الأيام ستتغير ولذلك كان عليه « الاستعداد التام لمواجهة التحولات التي لا مفر منها والحذر من الرجال الذين استهوتهم السياسة وألاعيبها»[3] والذي زاد من قلقه وخوفه هو أنّ الفوضى قد انطلقت من المؤسسة وبالضبط من العمال حيث أرادوا أن تكون لهم نقابة تدافع عن حقوقهم وانشغالاتهم. وبعد ذلك انتشرت إلى مؤسسات أخرى لم تعد شاشة التلفاز قادرة على تغطية الأحداث كونها صارت الشغل الشاغل في تلك الفترة « لم تعد الشاشة الصغيرة قادرة على تغطية

[1] ينظر: جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، ص350.

[2] الكافية والوشام، ص63.

[3] المصدرنفسه، ص64.

الأحداث الكثيرة التي تعرفها جلّ مناطق البلاد، خاصة في مرحلة متميزة بالتحضير الحثيث للإنتخابات »[1]

وكلّ هذا كان نتيجة لأحداث أكتوبر التي أعادت الوعي للشعب الجزائري « فأحداث أكتوبر، حيرته كثيراً، عاش خلالها ساعات طويلة من الخوف »[2] بمعنى أنّ هذه الأحداث كانت كمرض زاد من هموم النّاس وحيرتهم، وظلت الأحداث متساخبة والقلق زاد لدى أحمد معاليش خاصة بعد المصادقة « على دستور فبراير 1989م الذي فتح الباب للأحزاب وبدأ عهد جديد كثرت فيه التيارات السياسية وخطب الحماسة»[3] وبهذا تكون الشخصية هي الأخرى تعيش على وقع هذا الزمن التاريخي الذي يهيمن على المكان ويهيمن عليها أيضا. فهي تعيش الحاضر على وقع الماضي المليء بالمأساة والألم، ممّا جعلها عرضة للضياع والتهميش خاصة بعد التوقعات التي كانت في ذهنه عمّا سيحدث له بالمستقبل.

[1] الكافية والوشام، ص76.

[2] المصدر نفسه، ص108.

[3] المصدر نفسه، ص108.

الفصل الثاني: المفارقات الزمنية في رواية " الكافية والوشام ".

1-مفهوم المفارقات الزمنية

2-دلالة المفارقات الزمنية

أ/ الاسترجاع

ب/ الاستباق

1/ مفهوم المفارقات الزمنية:

تعني المفارقة الزمنية حسب " **جيرار جنيت** "**Gérard Genette** « دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما ومقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردي بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة، وذلك لأنّ نظام القصة هذا تشير إليه الحكاية صراحة أو يمكن الاستدلال عليه من هذه القرينة غير المباشرة أو تلك، ومن البديهي أنّ إعادة التشكيل هذه ليست ممكنة دائما وأنّها تصير عديمة الجدوى في حالة بعض الأعمال الأدبية »[1] يفهم من هذا أنّ المفارقة الزمنية تقوم على المقارنة بين ترتيب الأحداث أو ما يعرف بالمقاطع الزمنية في القصة وترتيب تتابع تلك الأحداث في الحكاية وهذا النوع من الدراسة موجود بكثرة على مستوى الروايات المعاصرة.

ويمكن للمفارقة الزمنية حسب "**جيرار جنيت**" « أن تذهب في الماضي أو في المستقبل تبعد كثيراً أو قليلاً عن لحظة القصة التي تتوقف فيها الحكاية »[2]

وتعرف المفارقة الزمنية في رأي مها حسن القصراوي على أنّها « يبدوا أنّ انحراف زمن السّرد(...) فقد نجد في بداية زمن السرد مؤشرا زمنيا يشير إلى حدث حكائي ما بعد ترتيبه الأخير في التتابع الحكائي، في حين يبرز كونه الحدث الأول في زمن السرد(...)»[3] فالمفارقة الزمنية إذا هي ذلك الانزياح الزمني الذي يحدث بين زمن القصة، وزمن السرد، فيكون إمّا بالعودة إلى الماضي واسترجاع أحداث ماضية، أو باستشراف أحداث لم يصل إليها السارد بعد.

---

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، تر:محمد معتصم، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط3، 2003م، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004م، ص190.

ويضيف حميد لحمداني أنّ « وكلّ مفارقة سردية يكون لها مدى واتساع، فمدى المفارقة هو المجال الفاصل بين نقطة انقطاع السرد وبداية الأحداث المسترجعة والمتوقعة»[1] ، يخضع الزمن الروائي للتمدد والتقلص، وبالتالي فإنّ المفارقة الزمنية يكون لها مجالا وهذا الأخير يعبر عن مدى اتساع المفارقة.

ويعرفها عبد المالك مرتاض بأنها تقنية من التقنيات التي « تدل على كل أشكال التنافر والاختلاف بين ترتيب زمن القصة وزمن الخطاب»[2]

وهذا يعني أنّ هناك اختلافا بين ترتيب زمن الأحداث في القصة، وترتيبها في الخطاب الروائي.

ولا يلجأ السارد إلى المفارقات الزمنية هكذا وحسب وإنّما هناك دافع وراء ذلك، حيث ترى " مها حسن القصراوي" أنّ: « الدافع يتمثل في محاولة كتّاب الرواية الحديثة الغوص في عمق الشخصية الروائية، والتوغل في مستويات العقل الكامنة تحت مستوى الوجود الواعي متجاوزين التدرج التصاعدي في الكشف عن الشخصية والحدث»[3]

وكثيرا ما يجد القارئ أنّ السّارد يغوص في الشخصية فيربط مثلا أمرا حدث في اللحظة الحاضرة من السرد بالحالة النفسية للشخصية كانت قد وقعت له في زمن مضى.

ويرى أحمد حمد النعيمي أنّ الدافع وراء المفارقات الزمنية يعود إلى:

– تتابع حالات الآن التي تحل إحداها محل الأخرى.

---

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991م، ص74.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، د.ت، ص252.

[3] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص191.

– أنّ الترتيب الزمني يقطع الماضي إلى فترات خيالية من الماضي والحاضر والمستقبل[1]

قد عمد الروائيون إلى التسلسل المنطقي للزمن فمزقوا سلاسله، وشوشوا على نظامه، فاتخذوا من الفوضى جمالا فنيا، ومن الخروج عن المؤلوف جدّة في الشكل الروائي وبنائه، واسترجاع أحداث وقعت في الماضي أو يقفز إلى الأمام مستشرفا عبر الحلم والتوقعات أحداثا ستقع في المستقبل، وتعرف هذه العملية بالمفارقة الزمنية تتحقق هذه الأخيرة على المساحات النّصية ضمن شكلين اثنين حسب جيرار جنيت هما:

« **الإسترجاع L'analepse**

الاستباق La prolapse »[2]

وإحداث المفارقة هو عملية ترجع في إلى الراوي فتتولد انطلاقا منه المفارقات السردية، لأنّه هو الذي يحدث عدم التطابق بين نظام الخطاب، ونظام قصة، فلو افترضنا مثلا كرونولوجيا كما يوضح الشكل:

أ ←— ب ←— ج ←—

فإنّ سرد الأحداث في الرواية سيتّخذ شكلا مختلفا مصفى من خلال مصفاة الراوي وحتى وإن لم يقصد الراوي إحداث التغيير سيحدث، فاللحظات التتزامنة على مستوى القصة مثلا تفرض عليه في الخطاب تقديم لحظة على أخرى، أو أنّه ينسى أحداثا ويعود لإستدراكها فيما بعد فيصبح زمن الخطاب مثلا بهذا الشكل:

[1] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية المعاصرة، دار الأمل، عمّان، إربد، ط1، 1986م، ص74.

[2] Gérard Gentte, Figures III , ed, Seuil. paris,1972. p90.

ج ←— ب ←— د ←— أ

وقد حاول حميد لحمداني أن يوضح هذه المفارقة من خلال المخطط الآتي[1]

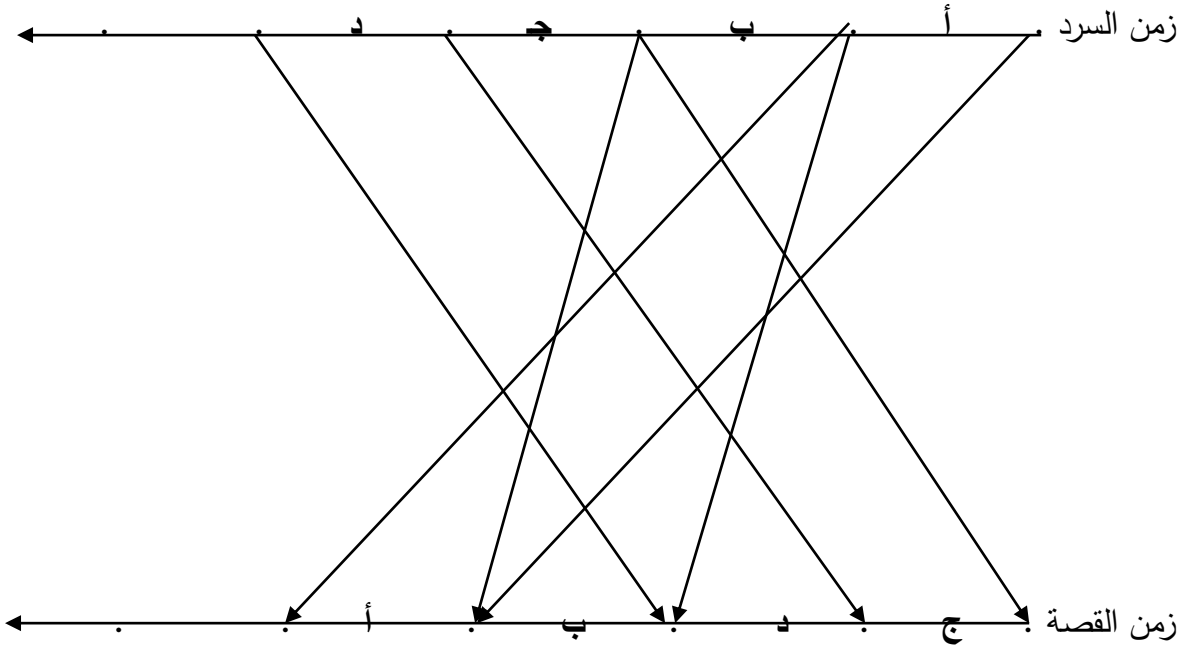

والطرائق التي ينتجها التلاعب الزمني لا حصر لها. ومازلنا إلى حدّ الآن نشهد من خلال الرواية أشكالا مختلفة تكشف عن إحكام الراوي زمام التلاعب بالزمن وتقديمه بأثواب جديدة ما دام العالم متجدداً ومتغيراً.

وفيما يلي رصد للمفارقات الزمنية ودلالاتها:

2- دلالة المفارقات الزمنية:

أ/ **الاسترجاع Analépse:** يعد الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضوراً في النّص الروائي، فهو يمثل ذاكرة النّص، ومن خلاله يستعيد الماضي قوته وبهاءه في مقابل الحاضر

[1] جون ريكاردو، فضاء الرواية الحديثة، تر: دمشق، 1977م، ص57. نقلا عن: حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص74.

والمستقبل « لأنّ تحطيم الترتيب الزمني هو النتيجة الأكثر وضوحا للانتقاص من الحاضر والمستقبل لصالح الماضي»[1]

ويعرف " جنيت " الاسترجاع بقوله: « ندّل بمصطلح استرجاع كلّ ذكر لاحق لحدث سابق للنقطة التي نحن فيها من القصة »[2]

ويرى " جنيت " أنّ الاسترجاع نشأ مع الملاحم القديمة، وتتطور بتطور الفنون السردية، فانتقل إلى الروايات الحديثة بحيث أصبح يمثّل أهم المصادر الأساسية للكتابة الروائية ويرجع اعتماده إلى تطور الدراسات النفسية مع فرويد خاصة، وأهم الروايات التي اعتمدتها هي روايات (تيار الوعي) التي يستخدم السارد فيها « التداعيات النفسية، المناجاة، والمنولوق الداخيلي المباشر والغير المباشر والمونتاج الزماني والمكاني والصور الحلمية»[3] فلا يمكن اعتبار استعادة الماضي في الحاضر مجرد عملية زمنية فقط وإنّما تكشف في جوهرها عن وعي الذات بالزمن في ضوء تجربة الحاضر الجديدة حيث تتخذ الوقائع الماضية مدلولات وأبعادًا جديدة نتيجة لمرور الزمن، لذلك فإنّ التأمل في حركة الزمن في رواية " الكافية والوشام" يجعل القارئ يدرك الحضور المكثف للماضي فقد استعادت مختلف الشخصيات (فتيحة الوشام، أحمد معاليش...) بواسطة الذاكرة أحداثا ماضية كثيرة منها: بعض المحطات من أيّام المراهقة ومختلف مغامراتها، أحداث 08 أكتوبر 1988م فهي رواية استلهمت أحداثها من الماضي، ومن المظاهر السردية التي تجسد هذا النوع من الزمن:

[1] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية المعاصرة، ص60.

[2] حيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر الحلي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط3، 2003م، ص51.

[3] مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية للكتاب، ص25.

نجد من خلال تذكر " فتيحة والوشام" لشخصية سليم الزغبي الذي أحبته والذي كان دائما يغني لها بصوته الرقيق أغاني عبد الحليم حافظ وفيروز فهي « لم تنس وجهه الذي كانت تكسوه علامات الوجد وهو يردد في هيام: ياحبيبي طاب الهوى ما علينا... لو حملنا لأيّام في راحتينا»[1] بعدها شرع السارد في تقديم هذه الشخصية وإماطة اللّثام عنها حيث يقول « كان طيبا وذا حساسية مفرطة، تمنت الزواج به ولكن الشاب الحالم كان يعشق الأشعار والكتب المختلفة... كما كان يقضي جلّ وقته في المطالعة والاستماع إلى أغاني أم كلثوم ... ولومهم المستمر على تهاونه في البحث عن العمل»[2]، هذا المقطع عبارة عن تذكير بماضي فتيحة وتقديم شخصية جديدة فالسارد يسترجع ماضيا يتعلق بشخصية جديدة من خلال تنوير اللّحظة في حياة الشخصية، وذلك بتسليط الضوء على جوانب كثيرة من ماضيها وعالمها الداخيلي بأبعاده النفسية والاجتماعية كما كان لهذه دور في إزاحة الغطاء عن شخصية كمال الوزاني الذي كان « أيّام دراستها بمتوسطة محمد خميستي يكتب لها الرسائل المملوءة بأشعار الغزل التي كان ينقلها من ديوان استلفه من سليم الزغبي...»[3] ، كما نجد أيضا الاسترجاع في موقف أحمد معاليش لما طلبت منه فتيحة عملا لحميدة الرفاف عندما كاد ينعتها بالطامة « كما كان يناديها شباب الحي في الماضي القريب وهم يرددون مازحين بيتا من قصيدة الشاعر الشعبي أحمد بن التريكي: يالوشام رطب يدك...وارشم ألالافطيمة، وفي أغلب الأحيان كانوا يعوضون لالا فطيمة بعبارة الطامة فتيحة»[4]

وتعد رؤية الإنسان للحدث الماضي في وقت لاحق تتعرض لكثير من التغيرات بفضل مرورها عبر بوتقة العقل، فحركة الزمن وما تحدثه من تغيرات جسدية ونفسية تجعل «إنّ رؤية الإنسان

[1] الكافية والوشام، ص23.

[2] المصدر نفسه، ص24.

[3] المصدر نفسه، ص33.

[4] المصدر نفسه، ص41.

لأحداث مضت تتغير مع تغير معطيات الحاضر وتطوره»[1] وتبقى اللاحقة تمثل وببساطة شرخا في الخط الزمني للرواية تطرأ لأنّها جزء من الماضي وقع إدراجه في الحاضر عن طريق الراوي الذي يترك مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية، ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها.

لكن يجب علينا أن لا ننسى أنّ هذا الماضي يتميز بمستويات مختلفة ومتفاوتة من ماضٍ بعيد وقريب ومن ذلك نشأت عدّة أنواع من الاسترجاع. ومن المقاطع السردية التي تجسد فيها هذا النوع هو ما حدث لأحمد معاليش بعدما عاد من العاصمة « مهموماً أكثر، ازداد انشغاله بالوضع العام، وأصبح يرد بأنّ البلاد في أزمة »[2]، وفي هذه اللّحظة بالذات يعود بنا السارد إلى الوراء حينما كان أحمد معاليش في العاصمة وبالتحديد في « فندق الأوراسي الشامخ الذي التقى فيه المندوبون في ندوة وطنية حول الاستثمار قال بأنّه مستعد للتضحية بالنفس إذا ما كلف بمهمة وطنية...»[3] ، إنّ هذا المشهد يعد استكمالا واستدراكا لما كنا قد قرأناه في الصفحة السادسة عشر« لقد سافر زوجها في مهمة إلى الجزائر العاصمة»[4] ، فهنا دور هذا الاسترجاع هو إكمال المقاطع السردية.

كما نجد الاسترجاع أيضا في القول الآتي: « دخل سيارته ساحة المؤسسة وتوقف بها أمام الجناح الإداري ثمّ نزل منها وسار قاصداً مكتبه كان مقداد السويدي واقفا أمام مكتب مصلحة الإنتاج»[5] ، هنا يعود بنا السارد إلى الوراء من خلال تذكر أحمد معاليش ما قام بعمله سابقا

[1] مها حسن قصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص193.

[2] الكافية والوشام، ص101.

[3] المصدر نفسه، ص 101.

[4] المصدر نفسه، ص16.

[5] المصدرنفسه، ص110.

« ابتسم أحمد معاليش قائلا في نفسه بأنّ مقداد السويدي مازال كعادته مصرا على النضال رغم مخاطر المرحلة الصاخبة، لقد اسهم في إبعاده عن النقابة ولكن مقداد السويدي لم يستسلم... وظلّ محلّ صراع سياسي»[1] فهنا الكاتب أو السارد أضاء لنا بعض الجوانب من شخصية مقداد السويدي(إصراره على النضال، عدم الاستسلام...)

وفي مقطع آخر بطله أيضا هو أحمد معاليش عندما « توقف ودار حول مكتبه ثمّ ركزّ نظره في اللّوحة التي نقشت على صفحتها السوداء بالخيط المذهب ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[2] ودوره هنا أنّه كشف عن عمق التطور في الحدث، والتحول في الشخصية بين الماضي والحاضر فهو« قد اشترى اللّوحة في بداية العهد الجديد، بنية مخاطبة زواره ذوي القوة والنفوذ راجيا منهم الرحمة فهل سيرحمه محمد الراشيدي ويساعده على ضرب حميدة الرفاف وكلّ خصومه إذا ما طلب منه ذلك»[3]

ولما سمع حميدة الرفاف طرقا على باب شقته « ظنّ أنّ زوجته عادت إلى البيت نادمة... ورأى أنّ الفرصة قد حانت للإنتقام منها، قام بخفة وجرى نحو الباب وفتحه بعصبية، كانت دهشته كبيرة وهو يرى فتيحة الوشام منتصبة...»[4] هنا عاد بنا السارد إلى الوراء من خلال اللّباس الذي كانت ترتديه فتيحة الوشام « منتصبة في لباسها الأخضر الجميل الذي أبرز مفاتنها وبدت فيه أصغر من سنها، إنّه اللباس الذي عصر في الماضي قلوب شبان الحي كحبات الليمون، لمَ ارتدته

[1] الكافية والوشام ، ص110.
[2] المصدر نفسه، ص120.
[3] المصدر نفسه، ص120.
[4] المصدر نفسه، ص127.

اليوم، ربّما لإثارة ذكريات الماضي وحنينه»[1] إذا دوره هنا هو تنوير اللّحظة الحاضرة في حياة الشخصية وفعلها، من خلال استعادة الماضي وإلقاء الضوء على جوانب كثيرة من ماضيها.

كما نجد أيضا أنّ الاسترجاع لا يتوقف على نوع معين ومحدد وإنّما يظهر في سياقات أخرى وهي ما اتفق معظم الباحثين على أنّ الاسترجاع ثلاثة وهي كالآتي: « استرجاع داخلي، استرجاع خارجي، استرجاع مزجي»[2] وقد مثل الاسترجاع بهذا المخطط الذي يوضح أهم دراسات الباحثين حول الاسترجاع والذي سنعمل على تعريفها واستخراج دلالاتها:

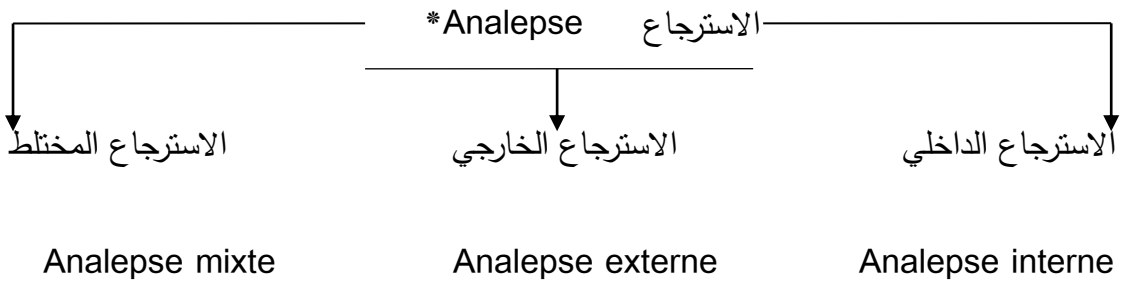

أولاً: الاسترجاع الداخلي (Analepse interne)[3]

هو إماّ موضوعي ويشار إليه صراحة أو يفهم من السياق وينقسم إلى قسمين رئيسيين: براني الحكي أو جوانبه « الاسترجاع الداخلي يتطلب ترتيب القص في الرواية وبه يعالج الكاتب الأحداث

[1] الكافية والوشام، ص127.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص58.

* جاء هذا المخطط بعد تتبع أهم دراسات الباحثين فيما يتعلق بالاسترجاع.

[3] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص61.

المتزامنة حيث يستلزم النّص أن يترك الشخصية الأولى ويعود إلى الوراء ليصاحب الشخصية الثانية كما يوضحه الشكل الآتي:

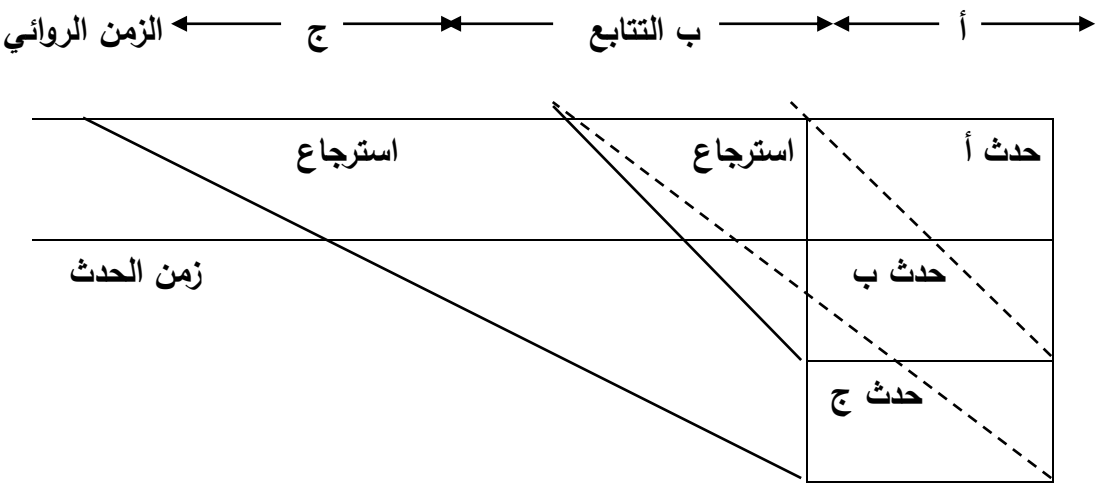

استرجـــاع الأحـداث المتـــزامنة

هكذا يتم معالجة إشكالية سرد الأحداث المتزامنة، حيث تحتم خطية الكاتب تعليق حادث لتناول حادث آخر معاصر له وهكذا، بحيث يتحول التزامن للتتابع كما تبين ذلك الترسيمة السابقة التي تتحول في الزمن الروائي إلى هذا الشكل[1]

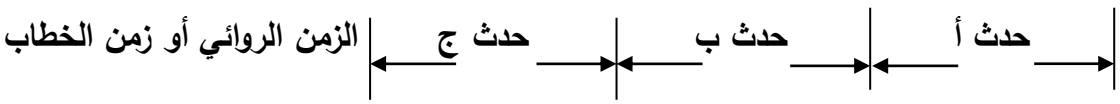

هذا التّحول الذي كان في زمن القصة متزامنا، وأصبح في زمن الخطاب متتابعا أثناء قراءة (أ) ينتظر(ب) يتطلّع إلى (ج).

[1] عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النّص السردي، مجلة فصول، مج12، ع2، 1993م، ص134.

ويستخدم أيضا « لربط حادثة بسلسلة من الحوادث السابقة والماثلة لها »[1] وكثيرا ما نرجع إلى الوراء بقصد ملء بعض الثغرات Les lacunes/ Les ellipises التي تركها خلفه السارد شريطة ألاّ يجاوز مداها حدود زمن المحكي الأول، لتصل لما هو أقدم وأسبق من بدايته، ممّا قد يعرض السرد لخطر التكرار والتداخل. La radondance et l'interférence

ويستعمل الاسترجاع الداخلي أيضا لعرض حوادث بأكملها وقد تمتد عدّة أيّام بعد وقوعها[2] ونمثّل له بما يلي: « تحركت فتيحة الوشام نحو الباب فاعترض سبيلها وهو يقول لها بأنّه على علم بعلاقاتها بمحمد الراشيدي... لقد جنّ الرجل في عينيه الحادتين رأت بريقا غريباً»[3] لنجد بعدها مباشرة عودة إلى الوراء من خلال قوله « لقد بدأ النبش في ماضيها، أجل لقد طلب محمد الراشيدي يدها من أبيها الذي رفض أن يزوجها لرجل يتنكر لجميل جدّه سي الميلود الوشام...»[4] ودوره هنا هو سد بعض الثغرات التي تنشأ عن السرد ولا يستطيع الحاضر تغطيتها.

ونجد أيضا هنا، وفي القطار حينما كان أحمد معاليش قادما من العاصمة قاصدا غليزان « تعرف على عالم جديد يتعرى فيه الناس بلا خوف من أي قريب... مرت ساعات طويلة وهو ينصت إلى الجالسين قابلته، انتقدوا الحكومة والأحزاب والشعب، وبعض الشخصيات السياسية، ومدحوا التقدم والديمقراطية. ثم ذموا التعددية وسبوا العصرنة...»[5]، ساد جو من الصخب الكلامي في أوساط الركاب، وهم يخوضون في أحاديث متناقضة كلّ بما يراه ويعتقده حول ما يجري في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الجزائر، وفي هذه الأثناء يسمع أحمد معاليش

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص62.
[2] الكافية والوشام ، ص62.
[3] المصدر نفسه ، ص131.
[4] المصدر نفسه، ص131.
[5] المصدر نفسه، ص147.

أحدهم يقول: « أنّ بلادنا غنية ولكن من دعا عليها مات كما تقول جدته عوالي... وتذكروا هواري بومدين وعبارته الشهيرة " قررنا، الله يرحم الشهداء وزعماء الجزائر" »[1]، هذه بعض المقاطع التي تشير إلى الاسترجاع الداخلي.

ثانيا: الاسترجاع الخارجي L'analepse externe:

هو العودة إلى الماضي إلى الوقائع التي حدثت قبل نقطة الصفر حاضر التلفظ « حيث يستدعيها الراوي في أثناء السرد، وتعدّ زمنيا خارج الحقل الزمني للأحداث السردية الحاضرة في الرواية»[2] ويشيع هذا النوع من الاسترجاع بكثرة في الروايات الحديثة «لأنّ لجوء الروائي إلى تضيق الزمن السردي وحصره، دفعه إلى تجاوز هذا الحصر الزمني بالانفتاح على اتجاهات زمانية حكائية ماضية تلعب دوراً أساسيا في استكمال صورة الشخصية والحدث وفهم مسارهما»[3] ومن هنا يرتبط الاسترجاع الخارجي بعلاقة عكسية مع الزمن السردي في الرواية الحديثة نتيجة لتكثيف الزمن السردي « فكلّما ضاق الزمن الروائي شغل الاسترجاع الخارجي حيزاً أكبر»[4]

كما يبقى الاسترجاع الخارجي مقصوراً على الاستحضارات التي تبقى في جميع الأحوال وكيفما كان مداها « خارج النطاق الزمني للمحكي الأول خلافا للاسترجاعات الداخلية التي تظل منحصرة داخله»[5] وهذا النوع من الاسترجاع نجده في المقاطع التالية « خلقت فتيحة الوشام للحياة الصاخبة المتدفقة كشلالات الوديان المتوحشة...»[6]، بعدها مباشرة يعود بنا السارد إلى استعادة

---

[1] الكافية والوشام، ص147.

[2] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص195.

[3] المرجع نفسه، ص195.

[4] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص62.

[5] عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النّص السردي، ص135.

[6] المصدر نفسه ، ص153.

أحداث ماضية حيث يقول« في السنة التي ولدت فيها، خرج الرجال والنساء والأطفال إلى الشوارع والساحات العمومية وهم يرددون بحماس كبير تحيا الجزائر... والأعلام الجديدة الغالية على قلوب الجزائريين، ترفرف في كلّ مكان... تعلقت عينا سي المهدي الوشام بالنجمة والهلال وهو يهتف سعيدا بحياة الوطن المفدى... ولم تتخلف رقية عن الموعد التاريخي وبلهفة لفت الصبية فتيحة بالقماش الأبيض، ووضعتها بين ذراعيها... وخرجت للمشاركة في المسيرات... كانت سعيدة كما روت ذلك مرارا لابنتها التي كانت تلّح عليها لمعرفة ظروف ميلادها وذكريات طفولتها»[1]، كلّ هذا جاء من أجل أن يخّلص النّص الروائي من الرتابة والخطية، ويحقق التوازن الزمني في النّص.

وتنفتح الذاكرة مرة أخرى لتتوقف على محطات عديدة في حياة فتيحة الوشام وعائلتها من خلال استرجاع مختلف الأحداث منها:

« كما تقدم عيسى العنوني تاجر الخضر طالبا يد فتيحة قبل به رغم إعاقته الجسدية... لم تسعد فتيحة بهذا الزواج الذي دام ثلاثة أشهر وبعض الأيّام فقط، كان من مدمني المخدرات ولعب القمار، لا يدخل البيت إلاّ بعد ساعة متأخرة... كان الرجل يجد لذة كبيرة في ضربها بيده الواحدة... وحدث الطلاق»[2] نفس الشيء للمقطع الذي بعده: « زواجها بالأزرق الزموري جلب للأسرة همًا آخر كان الرجل مريضا بالشك وكاد يقتلها علم بحبها لسليم الزغبي ثمّ طلّقها غير نادم»[3]، وفي قوله « ولما طلب المهندس سعيد الهواري يدها فرح المهدي الوشام وظنّ أنّ ابنته ستكون زوجة سعيدة في بيت المهندس المعروف في الحي بحيويته... زواجه بفتيحة الوشام لم يدم

[1] الكافية والوشام ، 153.

[2] المصدر نفسه ، ص 155، 156.

[3] المصدر نفسه ، ص156.

إلاّ بعض الشهور، أراد أن يجعل منها مناظلة مؤمنة بالمبادئ التي كان يضج بها رأسه الصغير... وقبلت الطلاق الذي لم تتمنه أبداً»[1].

لتجر الذاكرة بعدها والد فتيحة الوشام إلى تذكر شخصية محمد الراشيدي عندما تقدم لطلب يد فتيحة ورفضه قائلا لزوجته: « تربى محمد بضيعة جدي سي الميلود، لايمكن أن تخني الذاكرة، كان محمد طفلا بائسا، التقيت به يوما وهو مسؤول فسألته إن كان هو محمد الصغير الذي ترعرع عند الجد سي الميلود، فركز فيّ نظره الحاد وأنكر ذلك قائلا لي: أنا ابن تاجر محترم ولا أعرف صاحب ضيعة اسمه سي الميلود مثل هذا الرجل الذي يكذب وينكر الجميل لا أريده زوجا لابنتي فتيحة»[2]، والهدف من هذه المقاطع هو تقديم شخصيات جديدة ظهرت في المقاطع السردية وأراد الراوي إلقاء الضوء عليها.

ثالثا: الاسترجاع المختلط L'analepse mixte

يعتبر الاسترجاع المختلط أقل أنواع الاسترجاع تداولا، ويسمى مختلط لأنّه « يجمع بين النّوعين»[3]، أي « يخلط بين الاسترجاعين الداخلي والخارجي»[4]، وهو يعني « العودة إلى نقطة سابقة على نقطة الإنطلاق ولكنّها تستمر تصاعديا حتى تتجاوز نقطة الإنطلاق، وصولا إلى النقطة التي توقف عندها السرد، وقد لا تصل إلى نقطة التوقف هذه»[5]. فهو خارجي باعتباره

[1] الكافية والوشام ، ص157.

[2] المصدر نفسه ، ص162.

[3] محمد سالم سعد الله، أطياف النّص، دراسات النقد الاسلامي المعاصر، عالم الكتب الحديث، ص636.

[4] ناصر عبد الرزاق الموافي، القصة العربية عصر الإبداع، دراسات لسرد القصص في القرن الرابع هجري، دار الناشر، مصر، ص115.

[5] عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النّص السردي، ص135.

ينطلق من نقطة زمنية تقع خارج نطاق المحكي الأول، وهو داخلي أيضا بحكم امتداده ليلتقي في النهاية مع بداية المحكي الأول.

أمّا فيما يخص وظائف هذا النوع فهي نفسها وظائف وفوائد الاسترجاع الداخلي الذي يتضمنه وأيضا الخارجي أو باختصار وظائف الاسترجاع الممتزج أو المختلط هي الجمع بين وظائف الاسترجاع الداخلي والخارجي.

وهذا ما نجده في المقطع التالي عندما يعود بنا السارد إلى سنة 1962م حيث كان « سي المهدي الوشام نجاراً بمعمل عثمان الرجاجي، وقد مرّ على زواجه ثلاث سنوات... ولكنّه فرح فرحا عظيما لما أنجبت زوجته فتيحة التي تشبه والدته المرحومة عائشة الخلوقية...»[1]، ليواصل السارد بعدها ويسترسل في الحديث عن والد فتيحة الوشام وآماله فيقول« قال في نفسه أنّه سيحرص على تعليم ابنته حتى تتخرج طبيبة، فهو يحب مهنة الطّب ويحترم أصحابها كثيراً، ربما لأنّه كان يعاني من مرض السكري الذي جعل منه شخصا نحيلا وعصبيا، خيبت فتيحة ظنّه... وكادت تقتله بمشاكلها التي لم تتنته إلى حد الساعة، تقاعست فتيحة في دراستها ثمّ توقفت عنها بعد السنة الرابعة إعدادي، قررت أن تلتحق بمعهد التكوين المهني لتتعلم الحلاقة...»[2]، فالسارد هنا عاد بنا إلى أحداث ماضية (سنة 1962م) وما بعدها واستمرت الأحداث تصاعديا وعلى مدار ثلاث صفحات تطرق فيها إلى مختلف الأحداث التي حصلت لها (زواجها بعيسى العنوني والأزرق الزموري... وغيرها من الأحداث التي مرت بها إلى أن وصل إلى عهد التعددية الحزبية فنجد: «اليوم، في عهد التعددية الحزبية، حدث ما كانت تخشاه، قد قرر أن يطلقها...»[3]. فهو لم

[1] الكافية والوشام، ص154.

[2] المصدر نفسه، ص154.

[3] المصدر نفسه ، ص157.

يكن راض عن ابنته التي أصبحت مهتمة بزينتها وإظهار مفاتنها المثيرة، أصبح خائفا من تهورها، والغرض من كلّ هذا هو الكشف عن عمق التطور في الحدث، والتحول في الشخصية بين الماضي والحاضر، واستعادة الماضي وإلقاء الضوء على جوانب كثيرة من ماضيها.

إذا كانت هذه المحطات، وليست كلّ المحطات من ذلك النمط السردي الذي يهدف إلى العودة إلى الوراء لاستدراك ما فات من أحداث، وما قد يكون لحضوره فائدة، إنّ هذه الإنحرافات الزمنية لتدفع بالقارئ إلى لملمة الأحداث، وجمع شتاتها.حتى يتمكن في نهاية المطاف من إعادة بناء الرواية بشكلها الطبيعي.

ومن هنا يظهر دور القارئ، ويتجلى في بناء الرواية وإعادة بنائها، جنبا على جنب مع المبدع، هذا الأخير الذي نزعت منه الملكية المطلقة لأي عمل إبداعي ينجزه، وذلك بعد أن يضع نقطة النهاية، لتبدأ الرحلة من جديد مع القارئ، الذي تحول إلى مستهلك، لايملك من أمره سوى محاولة فهم مقصدية الكاتب، إلى شريك حقيقي لا يقل دوره عن شريكه في العملية الإبداعية هذه.

وفي الأخير يمكن القول أنّ الاسترجاع قد أدّى دوره في تشكيل معمارية رواية الكافية والوشام من خلال تقديمه لشخصيات لم يسبق لها الظهور على مستوى الأحداث أو من خلال إضاءة جوانب مظلمة في حياة الشخصية التي سبق وأن شملها السرد، كما ساهم من خلال المقاطع التكرارية في رسم صورة واضحة لنفسية بطلة الرواية فتيحة الوشام، كما ساهم في سدّ الثغرات التي لم يستطع الحاضر تغطيتها.

ب- الاستباق Prolepse(*):

« فندل بمصطلح الاستباق على كلّ حركة سردية تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يذكر مقدما»[1]، أي تجاوز النقطة التي وصل إليها السارد والقفز إلى نقطة لم يصل إليها.

فهو إذا مفارقة زمنية سردية تتجه إلى الأمام بعكس الاسترجاع ويتحدّد بكونه « مخالفة لسير زمن السرد يقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد»[2]. أي هو تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلا فيما بعد، وبتعبير آخر هو: « رؤية الهدف أو ملامحه قبل الوصول الفعلي إليه أو الإشارة إلى الغاية قبل وضع اليد عليها»[3]

ويتخذ الاستباق أحيانا شكل حلم كاشف للغيب أو شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعا ما بشأن المستقبل، حيث نجد السارد في رواية – الكافية والوشام- كثيرا ما يستشرف أحداثا يكون وقوعها في المستقبل متجاوزا بذلك الحكي الابتدائي كما في الحديث التالي: « قالت في نفسها بأنّها ستنتقم منه وستدمره إذا ما فكر في التخلي عن المهمة التي كلفته بها»[4]، ونجده أيضا في قولها لفتيحة الوشام التالي: « وجدت فيه الرجل المناسب لتنفيذ المهمة التي لن تبح لها بسرها لأي شخص حين اتفقت معه على قتل زوجها، لم تلاحظ تخوفه منها ولا من المهمة الخطيرة... لم يكن حميدة الرفاف شخصا ساذجا كما كانت تعتقد. في اللّحظة الحاسمة هرب منها... وفي نهاية المطاف خدعها صعلوك... ابتعدت عن النافذة وهي تتنهد حانقة على نفسها ثمّ تحركت نحو

* نجد له مصطلحات عديدة كالإحالة إلى الأمام، سبق الأحداث، منظور مستقبلي، الاستشراق.

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص51.

[2] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص15.

[3] أحمد حمد النعيمي، إيقاع الزمن في الرواية المعاصرة، ص38.

[4] الكافية والوشام، ص13.

السرير وهي تردد بحقد: سأحطمه... سأحطمه...»[1] لكن كيف ستحطمه وهي التي تحالفت معه على قتل زوجها ضمن صفقة اتفقا عليها بعد تنفيذ هذه المهمة إنّه يمسكها من يدّها التي تؤلمها.

ونجد نماذج كثيرة من هذا النوع نذكر منها على سبيل المثال « الخوف من حميدة الرفاف أعمى بصيرتها. لن ينجو من انتقامها، ستحطمه... ستعيده إلى حياة البؤس والذل... سيصبح رجلا منبوذا كما كان يسخر منه سكان الحي والمدينة...وسيلومه الناس على غروره وحمقه، ستخبر زوجها وستتهمه بالخيانة، أووف...»[2] ومثال آخر « إهتدت إلى فكرة قتل زوجها الذي سترث وحدها كلّ أملاكه وأمواله»[3] « كان يعاني من مرض القلب وموته محتمل جداً في الأيّام القادمة القريبة، سترث فتيحة الوشام أملاكه وأمواله ومعاشا منقولا»[4] وكذلك نجد ما يشير إلى أحداث ستقع في المستقبل « أبواب المجد والثراء ستفتح له قريبا... سيصبح رجلا مهابا كالآخرين... وعده محمد الراشدي بمستقبل زاهر...»[5].

أمّا عن الاستباق الذي يشير إلى القفز من الزمن الحاضر إلى المستقبل في « لم يخالج قلبها الخوف من عواقب قرارها، سترث زوجها العقيم، وستصبح ثرية... بعد مقتله سترحل إلى مدينة وهران الباهية التي تعشقها، لن تمكث لحظة واحدة في هذه المدينة المتواضعة... ستجدد حياتها ستهدمها ثمّ تبنيها من جديد، ستجعل منها أغنية لا يملّ الناس والكون كلّه من ترديدها. ستصبح فتيحة الوشام الحقيقية، الوشام العنيدة، الفاتنة التي اختفى سحرها...ستعوض كل سنوات

[1] الكافية والوشام، ص15.
[2] المصدر نفسه ، ص17.
[3] المصدر نفسه ، ص21.
[4] المصدر نفسه ، ص26.
[5] المصدر نفسه ، ص57.

الحرمان...»[1] والعديد من الأمثلة التي نجد فيها الإشارة إلى الزمن المستقبلي، كما أنّ هذا النوع من المفارقة نادر الاستعمال بالمقارنة مع اللاحقة « لأنّها تتنافى وفكرة التشويق التي تكون العمود الفقري للنصوص السردية الكلاسيكية التي تسعى جادة نحو تفسير اللّغز، في معرفة مآل الأحداث، إلى أن تحين الفرصة المواتية لذلك»[2]

وبهذه الطريقة يبقى دائما القارئ خصوصا، والمتلقي عموما في حالة انتظار وتساؤل « ثمّ ماذا» ولكن لا مجال للتمهيد لها والاعلان عنها لأنّ انكشافها لن يكون في وقتها فيفاجأ المتلقي بالتطورات غير المنتظرة.

والهدف منه في أغلب الأحيان إشتراك القارئ في العملية الإبداعية عن طريق عنصر التشويق والانتظار والترقب، ويلجأ الروائي إلى هذه التقنية بهدف التمهيد لأحداث سيتم سردها لاحقا، وكذا إعداد القارئ لتقبل وانتظار ما سيحدث من تغيرات وأحداث مفاجئة أو التبشير بشخصيات جديدة ذات أهمية سردية كبرى وما ستقوم به داخل المتن الروائي، بما يدفع السرد القصصي إلى الأمام ولكن الغالب فيه ألاّ تكون الأحداث كاملة، بل عبارة عن ومضات سردية تحتمل دلالات محددّة وناقصة إذا ما قورنت بمجموع الأحداث ومن الأمثلة على ذلك قوله: « حلت المؤسسات المحلية وستغلق الشركات العمومية المفلسة... دخلنا اقتصاد السوق... على الشباب أن يبادر قليلا... ستنطلق عملية الاستثمار قريبا...»[3]، وقوله « قبل مغادرة الفيلا أخبرته بالاستدعاء الذي سيصله خلال الأسبوع القادم ثمّ أردفت قائلة بأنّها لن تدعه عرضة للبطالة»[4] وأمثلة كثيرة

[1] الكافية والوشام ، ص31، 32.

[2] عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النّص السردي، ص135.

[3] المصدر نفسه ، ص38.

[4] المصدر نفسه، ص45.

ومتعددة كلّها تطرح عنصر التشويق لدى المتلقي وذلك من خلال إدراجها لأحداث سردية تفتح باب الخيال لمعرفة وتوقع ما سيكون فيما بعد.

ويتحدث جيرار جنيت أيضا عن الاستباق فيقول: « هنا أيضا سنميز من غير مشقة بين استباقات داخلية وأخرى خارجية»[1] وانطلاقا من هنا نجد أنّ تقسيم الاستباق اختلف عن الاسترجاع المقسم إلى ثلاثة أقسام عند جنيت.

01. الاستباق الداخلي: أو السوابق الداخلية internes prolepse وتسمى أيضا الداخلية الاستشرافية وهي « تتألف من إشارات مستقبلية، تسهم بدورها في وظيفة الخبر الأساسي في القصة»[2] وهو يتمثل في « سرد حادثة سابقة عن النقطة التي توقف عندها السرد، ولكن داخل الاطار الزمني للحكاية ككل»[3] أي أنّ السارد بصدد سرداً للأحداث يتوقف عند لحظة الحاضر منتقلا إلى المستقبل شرط أن يكون داخل الحكاية « لم يخالج قلبها الخوف من عواقب قرارها، سترث زوجها العقيم، وستصبح ثرية... بعد مقتله سترحل إلى مدينة وهران الباهية التي تعشقها، لن تمكث لحظة واحدة في هذه المدينة المتواضعة... ستجدد حياتها ستهدمها ثمّ تبنيها من جديد، ستجعل منها أغنية لا يملّ الناس والكون كلّه من ترديدها، ستصبح فتيحة الوشام الحقيقية، الوشام العنيدة، الفاتنة التي اختفى سحرها... ستُعوض كل سنوات الحرمان...»[4].

---

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص77.

[2] نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، دار هومة، الجزائر، ط1، 1997م، ص167.

[3] بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002م، ص74.

[4] الكافية والوشام، ص31، 32.

وتمثل الحكاية « الحكاية بضمير المتكلم أحسن ملائمة للاستشراف من أي حكاية أخرى وذلك بسبب طابعها الاستعادي المصرح به بالذات، والذي يرفض للسارد في تلميحات إلى المستقبل»[1] القريب دون أن يتجاوز هذا النوع من استشراف النقطة التي تنتهي عندها الأحداث ومن أمثلة ذلك « سيأتي اليوم الذي تترجاه فيه فتيحة الوشام وتطلب منه النجدة، لا لن يتزوجها، سيتركها للكلاب، ستعود إلى الحي الشعبي نادمة على غرورها... سيجد مقداد السويدي نفسه مرغما على الإدلاء بشهادته، ستصل لجنة التحقيق في الأيّام القادمة كما أخبره بذلك محمد الراشدي»[2].

ويعتبر الاستباق الداخلي سيراً إلى الأمام والإشارة إلى وقائع ستحدث فيما بعد، ومع ذلك يبقى داخل الحقل الزمني للأحداث السردية، الحاضرة في الرواية ولا يتجاوز مداه الحكي الابتدائي، وهو أكثر أنواع الاستباق استعمالا. وتطرح الاستباقات الداخلية نوع المشاكل نفسه الذي تطرحه الاسترجاعات التي من النمط نفسه، ألاّ وهو مشكل التداخل « مشكل المزاوجة بين الحكاية الأولى والحكاية التي يتولاها المقطع الاستباقي»[3].

فالخطاب الحكائي متعرض لخطر التداخل والتكرار مثله مثل الاسترجاع الداخلي، إلاّ أنّه يتميز عنه في كونه يؤدي دور الإعلان L'anuonce في مقابل دور التذكير الذي تلعبه الأخرى Le rappel، وبذلك يبقى ذهن القارئ مشدودا ينتظر ماذا سيحدث متشوقا قلقا على أحداث الرواية المستقبلية. ومن أمثلة ذلك « إقالة زوجها من منصبه سيعرضها لسخرية سكان الحي، وكلّ نساء المدينة، لن تصبح صاحبة الفيلا التي تثير حسدهنّ»[4]

---

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص51.

[2] الكافية والوشام ، ص126.

[3] جيرار جنيت، خطاب الحكاية ، ص79.

[4] المصدر نفسه ، ص129.

02. الاستباق الخارجي:

ويتمثل في « سرد حادثة سابقة عن الايطار الزمني للسرد ككل، أي سابقة على زمن الحكي»[1] وهو أنّ السارد يقوم بالانتقال من سرد الأحداث الحاضرة بالانتقال إلى المستقبل وهكذا يكون خارج زمن الحكاية، ويعرّفها عبد العالي بوطيب بأنّها « عبارة عن استشرافات مستقبلية خارج الحد الزمني للمحكي الأول على مقربة من زمن السرد أو الكتابة دون أن يلتقيا طبعا، وهو أقل استعمالا بالنسبة للصنف الثاني»[2].

هو إذا سبقٌ للأحداث يتجاوز مداه الحكي الابتدائي، فهو مقصورا على الاستباقات التي تبقى في جميع الأحوال، وكيفما كان مداها خارج النطاق الزمني للمحكي الأول، تخالف بذلك الاستباقات الداخلية التي تبقى محجوزة داخل الحكي الأول غير قادرة على تجاوزه، وأمثلته قليلة « حدثته عن هموم ستنجلي قريبا، حذرته من المرأة البيضاء التي لن تفلح في مسعاها الخبيث، وبشرته بأنّه سيتلقى رسالة ستجعل منه رجلا سعيدا... ستدخل الأفراح بيتك فلا تتردد في انجاز مشروعك»[3] يظهر الاستباق الخارجي هنا من خلال هذه المرأة التي تخبر أحمد معاليش بمستقبله فهذاالحدث ليس له علاقة بالنطاق الزمني للمحكي الأول.

كما نجد استباقاً خارجياً آخر من خلال هذا المثال: « سيتزوج مريم السموري المطلقة بعد اتمام العدة... أجل... سيتزوج هذه المرأة الطيبة التي استغلها في يوم مشؤوم... ستكون زوجته التي ترث منه كلّ شيء... وستكون فرحته عظيمة إذا حملت وأنجبت منه ولذا... سيفعل، قد تحدث المعجزة فتندم فتيحة الوشام على خيانتها له، ستحمل منه مريم السموري كما حملت من

[1] بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ص75.

[2] عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النّص السردي، ص136.

[3] الكافية والوشام، ص140.

حميدة الرفاف... لم لا»[1]. كماأنّنا نجد استباقات زمنية تموت فيه الأمنيات بمجرد ذكرها ويبرز هذا في أمنية سي المهدي الوشام والد فتيحة الذي قال في نفسه بأنّه « سيحرص على تعليم ابنته حتى تتخرج طبيبة فهو يحب مهنة الطب ويحترم أصحابها كثيراً... تقاعست فتيحة في دراستها ثمّ توقفت عنها بعد السنة الرابعة إعدادي قررت أن تلتحق بمعهد التكوين المهني لتتعلم الحلاقة »[2].

وينمو هذا الاستباق بصورة تدريجية تخلق لدى القارئ حالة من التوقع والانتظار والتنبؤ عبر عدّة تساؤلات كما في قوله « وقد يرمي بها إلى كلاب الشارع كما يقول لها حين يغضب؟»[3] وفي قوله « وبعد؟ كيف أواجه الحياة؟ أتريدني أن أعود إلى الحي؟ مستحيل أن أقبل بالطلاق»[4]

إذا كانت الاستباقات تنفتح على المستقبل، فإنّ رواية الكافية والوشام رسمت لنا صورة سوداوية حزينة للمستقبل فهو مفتاح يفتح لنا أبواب: الخطر، والموت، والوحدة، والغياب، والخيانة بيد أنّ المتتبع لفصول هذه الرواية يكشف أنّ كل الاستشرافات الواردة لم تتحقق في أرض الواقع، لأنّ محمد مفلاح ومن خلال عملية السرد المختلفة التي وظّفها، قد جعلتنا نتابع عن كثب كلّ الأحداث المنتظرة، لعلّها تتحقق، ولكن كلّ ما حدث كان معاكسا لما كان متوقعا، وهذا ما شكلّ فيما نراه طبعا، جمالية السرد المتميزة في هذه الرواية على الخصوص.

وكخلاصة لهذا الفصل نقول إنّ الكاتب عمد في هذا العمل الروائي، إلى المزاوجة بين عالم الواقع وعالم الرواية، من خلال المفارقات الزمنية، التي تعمل على انحراف مساره، تارة باتجاه الوراء، ليشير إلى التراكمات السياسية والاجتماعية التي أفرزت هذا الوضع، وتارة إلى الأمام

---

[1] الكافية والوشام ، ص188.

[2] المصدر نفسه، ص154.

[3] المصدر نفسه ، ص21.

[4] المصدر نفسه، ص49.

لاستشراف النتيجة والمآل المتوقع، كل ذلك لم يخضع إلى وتيرة زمنية منتظمة، بل تراوح بين السرعة والبطء، تبعا للحركة الداخلية التي يقتضيها نظام السرد المتبع، والذي يسعى إلى تحقيق التغيير، الذي تنشده الشخصيات انطلاقا من أمزجتها المختلفة وأفكارها المتعددة وتوجهاتها المتباينة، ممّا يجعل الأحداث اللاحقة متوقعة الحدوث بشكل منتظر، كنتيجة حتمية للوضع القائم، هذا الأمر جعل القارئ لرواية الكافية والوشام يتابع عن كثب، مشاهدها الكثيرة والتي تمتاز بالتكثيف والتنوع.

الفصل الثالث: الزمن النفسي في رواية " الكافية والوشام ".

3- مفهوم الزمن النفسي

4- دلالة الزمن النفسي

أ/ زمن الانتظار

ب/ زمن الحلم

01ـ مفهوم الزّمن النّفسي*:

هو زمن خاص، فكل إنسان له زمنه النّفسي الخاص به المتصل بوعيه ووجدانه وخبرته الذاتية، « فهو نتاج حركات أو تجارب الأفراد وهم فيه مختلفون، حيث إننا يمكن أن نقول إنّ لكل منّا زمنا خاصا يتوقف على حركته وخبرته الذاتية» [1]، فالزّمن النّفسي لا يخضع لقياس الساعة مثلما يخضع الزّمن الموضوعي، وذلك باعتباره زمنا ذاتيا يقيسه صاحبه بحالته الشعورية « فيختلف في تقديره ... فهناك اللحظة المشرقة المليئة بالنشوة التي تحتوي على أقدار العمر كلّه وهناك السنوات الطويلة الخاوية التي تمرّ رتيبة فارغة كأنّها عدّم» [2] ، ما نجدّه قد تجسّد فعلا في هذه الرواية من خلال الصورة التي قدّمها لنا السارد عن الحالة النفسية الصعبة التي عانى منها **حميدة الرفاف** وهو يرى المرأة التي لطالما أحبّها تزف إلى رجل آخر حيث يقول « دمعت عيناه رغم تظاهره بالهدوء (...) ، وخوفا من انهيّاره أسرع الخطى نحو بيته هاربا من رؤية فتيحة الوشّام وهي في لباس زفافها (...) ، وفي غرفته الضيقة التي تفوح منها رائحة الفقر، بكى **حميدة الرفاف** بحرقة، سجنّ نفسه غي البيت المتواضع مدّة ثلاثة أيام (...)، وفي وحدّته الحزينة استعرض كل أطوار حياته التي لوّنها اليتم وهمومه العميقة» [3]، فهذا النوع من الإحساس يختلف من شخص لآخر تبعا لإختلاف حالات الشعور لدى الأفراد كلٌ حسب حالته النّفسية ومزاجه الذاتي.

فإذا كان الزمن الطبيعي لا يعرف الانتظار، ولا التوقف، ولا الرجوع إلى الوراء، ويتجه دوما نحو الأمام بخطّية مستقيمة منتظمة، فإن الزّمن النّفسي نجده ينتقل من الحاضر إلى الماضي

* استعمل عبد الرحمن النعيمي في كتابه " إيقاع الزمن في الرواية المعاصرة "، مصطلح الزّمن السيكولوجي بمترادفات المعنى الواحد للزّمن النّفسي، و الزّمن الخاص ، والزّمن الشخصي.

[1] كريم زكي حسام الدين، الزّمان الدّلالي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1991م، ص48.

[2] جمال عبد الملك، مسائل في الإبداع والتصور، دار الجيل ، بيروت،ط1، 1991م، ص152.

[3] الكافية والوشّام، ص 66-67.

فالمستقبل أو العكس، وهذا ما يعني انعدام عنصر البناء التتابعي للزمن فيه، « ويتجلى انتصار الزّمن النّفسي بتمكنه وقدرته على تجاوز الحدود الزّمنية، والتقسيمات الخارجية، الماضي والحاضر والمستقبل، وبالتالي يمكن في لحظة واحدة آنية، أن يمتلك الإنسان عدّة أزمنة متفرقة وعدّة أنوات وتتحرّك الآنا بحرية في اتجاهات مختلفة ومتداخلة»[1]

ويتعلّق الأمر في الزّمن النّفسي، بمجموع المشاعر والأحاسيس والتقلّبات النّفسية بشتى أنواعها، فتستغرق هذه العملية مدّة زمنية محدّدة ،قد تطول وقد تقصر، حسب الحالة النفسية التي تعتري الذات وهي في حالتها هذه « وهكذا إيقاع واقعنا النّفسي يركض عندما يكون غنيا فيكر معه الزّمان، ويحبو عندما يكون فقيرا مجدبا فيزحف معه الزّمان، الذي هو حبل يتجاذب به الحزن والفرح القلب البشري، والذي يتلاعب بالنفس كما تتلاعب أصابع العزف بأوتار الكمّان...»[2] ، إنّ هذا النوع من الزمن إذا مرتبط أساسا بالشخصية الروائية، فهو خاضع لحالتها الشعورية، يتقلّب بتقلب مزاجها، فيحرّك مشاعرها الداخلية بصورة غير منتظمة حيث يتباطأ في فترات الضجّر والشّدة والضيق والقلق ويقل ويتسارع في أحوال السعادة والفرح والأحداث المنتظرة، هذا ما نجدّه قد حدث مع فتيحة الوشّام، في أجواء الصمت والسكون ووسط الوحدّة، طوال ليل مليء بالخوف والحنين ليل يتأوّه لحزنها ولكربها وموجة من الندم والحسرة تهدّر أعماقها بل تمتد فتقبض أنفاسها، ليل لا يريد أن ينقضي بقيت فتيحة تعاني في صمت « فتقلّبت في سريرها متضايقة من هذه الوحدّة التي تهاجمها بوساوسها وخواطرها المحمومة فجأة تحركت وجلست على سريرها(...)، لن يهدأ لها بالٌ

[1] سمير الحاج ياسين، اللحظة الأدبيّة "دراسة الزّمن في أدب القرن العشرين" ، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر بيروت، ط01، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص 45.

حتى تتحصل على عمّل»[1]، إنّ عجلة هذا الزّمن تدور وفق ما يحدثه الإيقاع في داخل ذات الإنسان، حيث يستحضر الماضي الذي هو كامن في الذاكرة، ويستشرف المستقبل عن طريق الاستباق نحو أفق الانتظار، وبالتالي يمكن القول بأنّ الذاكرة تربط الماضي بالحاضر والمستقبل فهي « لبّ وجودنا، إنّها امتداد للماضي في الحاضر وسيرورتها شيئا فشيئا، فهي ديمومة لا رجعة فيها تحمل في ثناياها ماضيا عريقا يتميز بالاستمرارية والتراكم فوق بعضه البعض، وهذا ما يضمن له عنصر البقاء في ذاته مالكا القدرة بالاحتفاظ بنفسه»[2]، فالذاكرة إذًا مجال رحب من التقلبات الزمنية « التي لا تعرف الحدود وتتراكم على الماضي وتستشرف بالمستقبل فهي روح الماضي والتوقع روح المستقبل، وتحت تأثير الدوافع الخارجية، فإنّ الذكريات التي كانت منسية ومدفونة تقفز إلى السطح من أعماق العقل الباطن»[3]، وبهذا يظلّ الحاضر هو لحظة الوجود والحياة التي يعيشها الإنسان، وتزّغبه للعمل، بينما الماضي هو ذكريات تقع في جوانب مظلمة في الذّاكرة توظّف بصورة متقطعة كلّما دعت الحاجة إليها، وكلّما أثارها مثير.

إنّ الزّمن النّفسي يمتاز بالعمق، إذ تصبح اللحظة الزمنيّة أثمن من الدّهر كله، وعندئذ يتوقف الزّمن الطبيعي ليحلّ محلّه الزّمن النّفسي، إنه انعكاس لمشاعرنا وأحاسيسنا، إنه تكرار لما تمليه الذاكرة من أفكار دفينة وأحلام كبيرة، هو مجال خصبٌ، لبثّ ما طال لبثّه في طيِّ الكتمان بين خبايا الذّات الإنسانية .

[1] الكافية والوشّام، ص 165.

[2] مها حسن القصراوي ، الزمن في الرواية العربية ، ص 23-24.

[3] يُنظر: إيفاشبنا فلانتيا، الثورة التكنولوجية والأدب،تر:عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،1985، ص146.

2- دلالة الزمن النفسي:

أـ زمن الانتظار:

إنّ مشاهد الزّمن النّفسي في هذه الرواية كثيرة ومردّ ذلك إلى الصراع الداخلي الذي ينتاب الشخصيات عموما، إنّ هذا النوع من الزّمن يتجلّى في الحالات الشعورية التي مرّت بها الشخصيات الروائية، والتي تجلّت في غالب الأحيان في نفسية **فتيحة الوشّام** التي توزعت عبر الرواية نتيجة المعاناة التي قاستها مع زوجها الأخير **أحمد معاليش** تحديدا، وتبدأ هذه الحالات منذ أن بدأت تفكّر في قتله، ولعلّ طول انتظارها **لمجيئ الرفاف**، شريكها في الخطة التي رسماها لقتل زوجها، هو الذي جعلها تستغرق وقتا طويلا وسط قلق كبير وتوتر شديد « ألا يعلم الأبله بأنّ مستقبلها يحدده هذا الموعد الهام؟ الفرصة مناسبة لتنفيذ خطتها (...) وحميدة الرفاف هذا المغفل قد لا يأتي(...) وستضيع منها الفرصة المناسبة، الشك الخبيث مزّق قلبها الخادف من مصائب هذا الزمن العنيد»[1]، إنّ هذا الشك القاتل زرع في قلبها الخوف والاضطراب، وصورة حميدة الرفاف هذا الشخص اللئيم انتشلته من البؤس والحرمان وأصبح إنسانا محترما(...) هذا المشهد كلّه مُثّل أمامها من خلال تذكّرها لكلّ لحظة من لحظات وقوفها إلى جنبه " قالت في نفسها بأنها ستنتقم منه إذا فكذر في التخلّي عن المهمّة التي كلّفته بها(...) بعدما أنقذته من مخالب الفقر المدقع وهموم الحي الشعبي(...) لقد وفّرت له منصب عمل بمؤسسة الكافية التي يديرها زوجها **أحمد معاليش** (...) ثمّ زوّجته بخادمتها **مريم السموري**، وبفضل وساطة زوجها تحصّل على شقة

[1] الكافية والوشام، ص12-13.

جديدة(...) وقال لها بأنه سيظل وفيا لها مدى الحياة وأنه مستعد أن يفعل من أجلها أيّ عمل ومهما كانت خطورته[1]

انتظرت **فتيحة الوشّام** مجيء حميدة الرفاف طويلا ولكن دون جدوى، الأمر الذي زاد من ألمها وقلقها الذي بلّغ حدّه، ولم تستطع مقاومته نظرا لأهمية هذا اللقاء، كيف لا وهو اللحظة الفاصلة والحاسمة لرسم مستقبلها الذي كانت تنشده بعد القضاء على **أحمد معاليش** « إنّه اللقاء اللذي سيقرر مصيرهما المشترك(...)، ألا يدري أنها تحترق من أجل هذا اللقاء؟ كيف يضيع هذه الفرصة الذهبية»[2] مما لا شك فيه أن هذه اللحظات التي انتظرت فيها **فتيحة الوشام** مجيء **حميدة الرفاف** كانت لحظات طويلة جدا وقاسية لأنها مثلت لحظات قلق وتمّزق جراء الانتظار وكما سبق الإشارة إليه فإن هذا النوع من الزمن مرتبط بالشخصية الروائية وهو خاضع لحالتها الداخلية يتقلب بتقلب مزاجها، إنّ هذا الضرب من الزمن ناتج عن أحوال النفس فإذا كانت النفس في حال الفرح والسعادة يمر الزّمن كمرّ السحاب، أما إذا كانت تعاني حزنا أو سقما أو إحساسا بالفناء أو غيرها أحست بطول الوقت وثقله إلى غير ذلك ، « مما يجعل قيمه تختلف باستمرار باختلاف الأشخاص وحتى لدى الشخص الواحد، فالمقياس النسبي هو مقياس نفسية الشخصية وشعورها وتكيّفها مع الحدّث، أو عدم تكيّفها معه»[3] ، فالمدّة الزمنية – في حقيقتها– لا تزيد ولا تنقص ولكن الذات هي التي تضيف عليها حالة من الطول أو القصر حسب أحوالها ، كما يعتبر بمثابة الآلة الخفية المحركة لوجداننا ولمشاعرنا الكيانية كالحزن، القلق والضجر، الهم والفرح ، وهذا ما نجدّه قد حدث بالفعل **لفتيحة الوشّام**، وهي تكابد الألم الذي يعتصر قلبها ويهزّ كيانها، خاصة

[1] الكافية والوشّام ، ص 14.

[2] المصدر نفسه ، ص 16.

[3] ينظر: أ.أ مندلاو، الزمن والرّواية، تر: بكر عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ص137-138.

بعد أن أصبح زوجها لا يعيرها أي اهتمام، بل والأكثر من ذلك بات يهينها ويشتمها، الأمر الذي جعل كل مبررات التخلص منه قائمة « بصقت ساخطة على اليوم الذي أفضت له بسرّها، وحدّثته عن حقدها الكبير على زوجها العقيم الذي أفقدّها عقلّها ورزانتها ودفعها للتفكير في قتله(...) كان زوجها يحتقرها ويجدّ سعادة كبيرة في إهانتها أمام الجيران والضيوف»[1]، في الواقع هذا النوع من الزمن لصيق بالشخصية، يستمد وجوده من حياتها، أو بالأحرى من ظروفها، وبالتالي يتباين الإحساس بطوله أو قصره تبعا للحالة الشعورية، فمنذ أحداث أكتوبر 1988 تغيّر ميزاج زوجها كثيرا خاصة وأنه شعر أنّ أيامه القادمة لن تكون هادئة وما زاد الطين بلّة هو الكلام الجارح الذي أسمعها إياه شتمّها أنها فاسقة وابنة ساقطة هذا ما زاد من مرارتها « بكت بحرقة ...لن يرتاح بالها حتى تنتقم منه، أمرّها أن تسكت ولكنّها لم تكفّ عن الصياح والبكاء الحار وهي تقول له بغضب شديد: كيف أسكت عن هذه التهمة القذرة ؟ (...) وقضت **فتيحة الوشّام** الليل كلّه في الصالة الفسيحة محتضنة جرحها العميق(...) ذلك الجرح الذي أصبح ينزّف كلّ يوم حقدا على زوجها المهووس ، شعرّت انّ الحياة معه أصبحت مستحيلة»[2]

تظهر مهارات الرّاوي في الولوج إلى أعماق الذات و الكشف عن تفكيرها المستمر في الزّمن فيبدو أنه لا هاجس لها سوى الزّمن، لطالما شكلت الأيام القادمة مصدّر خوف بالنسبة لهم، وحتى الخادمة البسيطة **مريم السموري** ، لم تسلم من هذا الوضع المشحون، نجدّها أيضا هي الأخرى تعاني من صدمات متتالية الواحدّة تلو الأخرى ، لعلّ أقواها كانت حين طلب منها **حميدة الرفّاف**

[1] الكافية والوشّام،ص 14.

[2] المصدر نفسه، ص66-67.

عدّم الذّهاب إلى الفيلا، وخيّرها بين الفيلا والطلاق " دهشت، كانت الصدمة التي لم تقو على تحملها، فعادت إلى فراشها وهي ترجف خائفة من الأيام القادمة (...)، لقد انفجرت كلمة الطلاق

خاتمـــــة

من حق هذه الدراسة أن تحتتم بفقرات قصار يتبيّن فيها الجديد الذي وصلنا إليه، وشبه الجديد الذي كان خفيا فأمطنا عنه اللثّام، وقد أفرزت عن ثلّة من النتائج والملاحظات مفصلة بحسب توالي فصول الدراسة نوردها فيما يأتي:

اعتمد محمّد مفلاح في هذه الرواية على الزّمن الحاضر مع العودة إلى الماضي من حين لآخر لربط الحاضر بالماضي، فالرواية مبنية على تردّد الأحداث في زمنين: الزّمن الرّاهن هو زمن الواقع المعيش، والزّمن الماضي هو الزّمن التاريخي، إنّ اهّم زمن تاريخي ندرجه في هذا الصدّد (أحداث أكتوبر 1988)، هذه السنة التي شهدت فيها الجزائر مظاهرات شبّانية انطلقت من العاصمة الجزائرية وامتدت إلى بعض الولايات ، وكانت بداية للإصلاحات السياسية التي تمخض عنها ظهور عدة أحزاب، وقد وظف العديد من الأدباء على غرار محمّد مفلاح هذه الأحداث في أعمالهم، ويشكّل هذا التاريخ منعرجا حاسما في تاريخ الجزائر، فقد عبّرت الرواية عن الوضع السياسي والاجتماعي الذي عاشته الجزائر جراء تلك الأحداث وانعكاساتها على مختلف الأصعدّة وقد حاول الروائي عرض هذا الواقع من خلال رؤية أدبية وجمالية خاصة.

استنتجنا أيضا أنّ الاسترجاع والاستباق يشتغلان بفاعلية في رواية الكافية والوشّام، ويركز محمّد مفلاح في عملية الاسترجاع على محفزات تلعب دورا أساسيا في وجود الماضي واستمراريته في الحاضر، وقد استخدمّه الكاتب في هذه الرواية بشكل كبير نظرا للأحداث المتشابكة والمتداخلة التي بُنيَّ عليها هذا العمل الروائي، والذي شكل فيه الزّمن عنصرا بنائيا مهما، كما تعدُّ اللحظة الآنية من أهم منبهات الذاكرة بما تحتويه من أشخاص وأحداث وأمكنة وأشياء تحفز على استدعاء الماضي لما فيه من علاقة مع هذا الحاضر، فمثلا نجد في ثنايا الرواية أنّ السارد عاد بنا إلى الوراء من خلال لحظة ولادّة فتيحة وفرح والدها بها وحلمه أن تصبح طبيبة، فتيحة التي خيّبت

آمال والدّها بتخليها عن دراستها وكادت تقتله بمشاكلها وهمومها التي لا تنتهي، وعلى مدار أربع صفحات تعرّض فيها لأهمّ المحطّات التي كانت في حياة فتيحة وزواجها أربع مرات وغيرها من الأحداث، لتصبح المقارنة بين الماضي والحاضر دافعا للشخصية إلى استحضار الزّمن الماضي ورؤيته وفق خصوصية التجربة الحاضرة وأبعادها.

أما عن الاستباق فقد تمثّل هذا النوع من التقنيات الزمنية أيضا في محطات كثيرة في رواية الكافية والوشّام بغيّة شدّ أفق التوقع لدى القارئ، ومحاولة جعلّه متطلّعا على ما يمكن وقوعه مستقبلا، ونجدّ انّ هذه الرواية عبّرت عن المستقبل بمنظورين: أحدّهما أبيض، نقل المستقبل الاجتماعي والسياسي والحضاري الذي تريده الشخصيات، فسعت إلى غدٍ متحررٍ عادلٍ، ينسيها ألم الماضي والحاضر وهذا ما نلمسه من خلال النتائج التي صاحبت أحداث أكتوبر 1988، بعدما كانت للحاكم أو المسؤول السلطة المطلقة في التحكم في رقاب الناس كيف يشاء، في ظل نظام الحزب الواحد لتتغير الأوضاع ويبدأ عهد جديد، عهد التعددية الحزبية، أما بالنسبة للمنظور الثاني فسوداوي يعكس المستقبل المعتم الذي لا يتحقق فيه أي شيء مما تتمناه الشخصيات في النص ويظهر هذا في فشل خطة فتيحة والنهاية التي آلت إليها الشخصيات، وكأن الرواية تصرّح بالحاضر الأسود المتجدّدة صورته في المستقبل، بالرغم من أماني فتيحة الوشّام ومختلف الشخصيات في التغيير، وهي السوداوية التي عكستها النهايات التي آلت إليها الشخصيات في الرواية.

انصرفت الرواية إلى الزّمن النّفسي للكشف عن الروح التي تكوّن الحياة الداخلية الأصلية للإنسان، انتصارا لهذه الروح، ومسايرّة لقلقها المستمر إزاء ما عرفته في الماضي وما تتعرّف عليه حاضرا، وخصوصا ما تنتظره هذه الروح، وقد تجلّت تلك الحالات الشعورية في غالب الأحيان في

نفسية فتيحة الوشّام، التي توزعت عبر الرواية نتيجة المعاناة التي قاستها مع زوجها الأخير أحمد معاليش تحديدا، وتبدأ هذه الحالات منذ أن بدأت تفكّر في قتله، ولعّل طول انتظارها لمجيء شريكها حميدة الرفاف في خطّتها، هيّ لحظات قلق وتمزق جراء الانتظار، فهذا النمط من الزّمن مرتبط أساسا بالشخصية الروائية وهو خاضع لحالتها الداخلية، فنجدها أحيانا تهرّب من زيف الواقع وشعورها باليأس من خلال لجوئها إلى الحلم.

والله وليّ التوفيق.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

أ- المصادر:

1. محمد مفلاح، الكافية والوشام، منشورات دار المعرفة، 2008.

ب-المراجع

أحمد حمد النعيمي، ايقاع الزمن في الرواية المعاصرة، دار الأمل، عمّان، إربد، ط1، 1986.

أمينة رشيد، تشظي الزمن في الرواية الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م.

بشير بويجرة، بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري(1970م-1986م) ج1، منشورات دار الاديب، وهران، 2008.

بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002.

جمال عبد الملك، مسائل في الإبداع والتصور، دار الجيل ، بيروت،ط1، 1991.

حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.

حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1991.

سمير الحاج ياسين، اللحظة الأدبيّة "دراسة الزّمن في أدب القرن العشرين" ، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط1، دت.

سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1984.

طه وادي، صورة المرأة في الرواية المعاصرة، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1989.

عبد الحميد المحادين، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1999.

عبد القادر أبو شريفة، ، مدخل إلى تحليل النّص الأدبي، دار الفطر، عمان، ط4، 2008.

عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية- بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، دت.

عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.

عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دت.

كريم زكي حسام الدين، الزّمان الدّلالي، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة،ط1، 1948.

محبة الحاج معتوق، أثر الرواية الغربية في الرواية العربية، دار الفكر اللبناني، ط1، 1998.

محمد سالم سعد الله، أطياف النّص، دراسات النقد الاسلامي المعاصر، عالم الكتب الحديث، دت.
محمد معتصم، عودة الخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط3، 2003.
مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998.
مها حسن القصراوي، الزّمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004.
ناصر عبد الرزاق الموافي، القصة العربية عصر الإبداع، دراسات لسرد القصص في القرن الرابع هجري، دار الناشر، مصر، دت.
نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، دار هومة، الجزائر، ط1، 1997.
وليد نجار، قضايا السرد عند نجيب محفوظ، دار الكتاب اللّبناني، بيروت، ط1، 1985.

ت-المراجع المترجمة :

1. أ.أمندلاو، الزمن والرّواية، تر: بكر عباس، دار صادر،بيروت، لبنان ط1، دت.
2. إيفاشبنا فلانتيا، الثورة التكنولوجية والأدب،تر:عبد الحميد سليم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة،1985.
3. جيرار جنيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر: محمد الجليل الأزدي، عمر الحلي، منشورات الاختلاف، الجزئر، ط3، 2003.
4. غاستون بشلار، جدلية الزمن، تر: خليل أحمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر لبنان، ط3، 1997.

كولين ولسون، وجون جرانت، فكرة الزمان عبر التاريخ، تر: فؤاد كامل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.

5. ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، تر: فريد أنطونيوس، عويدات للنشر والطباعة، ط3، 1986.

ث-المراجع الأجنبية:

1. Gérard Gentte, Figures III , ed, Seuil.

ج- المجلات والدّوريات:

1. عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النّص السردي، مجلة فصول،الهيئة المصرية العامة للكتاب مج12، ع2، 1993.

ح- الرسائل الجامعيّة:

1. جوادي هنية، صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الأعرج، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر ،بسكرة، 2012م/2013.

فهرس الموضوعات

مقدمة .....06.

الفصل الأول: الزّمن التاريخي ودلالته في رواية الكافية والوشّام.

1- مفهوم الزّمن التاريخي .....11.

2- دلالة الزّمن التاريخي:

أ. أحداث 5أكتوبر 1988.....18.

ب. التعدّدية الحزبية.....27.

الفصل الثاني: المفارقات الزّمنية ودلالتها في رواية الكافية والوشّام.

1- مفهوم المفارقات الزّمنية.....32.

2- دلالة المفارقات الزّمنية:

أ. الاسترجاعات.....36.

أولا: الاسترجاع الداخلي.....41.

ثانيا: الاسترجاع الخارجي.....43.

ثالثا: الاسترجاع المختلط.....45.

ب. الاستباقات.....48.

أولا: الاستباق الداخلي.....51.

ثانيا: الاستباق الخارجي.....52.

الفصل الثالث: الزّمن النّفسي ودلالته في رواية الكافية والوشّام.

1. مفهوم الزّمن النفسي.....58.

2. دلالة الزّمن النفسي:

أ- زمن الانتظار.....61.

ب-زمن الحلم.....67.

خاتمة.....69.

قائمة المصادر والمراجع.....73.

فهرس الموضوعات.....